كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

من جُهُودِ الشَّيْخ أ.د/ عَبد العظيمِ المُطْعَنِيّ في التجديد البلاغي

إعداد

د/ محمد سعدي أحمد حسانين

أستاذ البلاغة والنقد المساعد
في كلية اللغة العربية بالقاهرة

(العدد السابع والثلاثون الجزء الأول ٢٠١٨م)

ملخص البحث

يُعَدُّ الشَّيْخُ عَبْدُ العَظِيمُ إِبْرَاهِيمُ المُطْعَنِيّ مِنْ مَدْرَسَةٍ قُرْآنِيَّةٍ بَلَاغِيَّةٍ قَلَّ أَصْحَابُهَا، وَصَاحِبُ نَهْجٍ عِلْمِيٍّ قَلَّ رُوَّادُهُ. وَيَأْتِي هَذَا البَحْثُ لِيُلْقِيَ الضَّوْءَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جُهُودِ الشَّيْخِ أ.د:عَبْدِ العَظِيمِ المُطْعَنِيّ- رَحِمَهُ اللهُ - فِي التَّجْدِيدِ البَلَاغِيِّ، فِي مُحَاوَلَةٍ لِرَصْدِ بَعْضٍ هَذِهِ الجُهُودِ البَلَاغِيَّةِ، وَمَوْقِفِهِ مِنْ قَضَايَا عَصْرِهِ البَلَاغِيَّةِ، وَمَا الجَدِيدُ الَّذِي أَضَافَهُ إِلَى المَكْتَبَةِ البَلَاغِيَّةِ؟ وَذَلِكَ بِدِرَاسَةِ المُصْطَلَحَاتِ البَلَاغِيَّةِ الجَدِيدَةِ الَّتِي صَكَّهَا، أَوْ المُصْطَلَحَاتِ البَلَاغِيَّةِ الَّتِي أَعَادَ تَقْوِيمهَا، وَقَامَ بِتَنْقِيَتِهَا مِمَّا شَابَهَا لِتُعودَ صَافِيَةً نَقِيَّةً .

الكلمات المفتاحية:

عبد العظيم المطعني . التجديد البلاغي . المكتبة البلاغية . الإعجاز القرآني . الجهود البلاغية.

Synopsis

Efforts of al_Sheikh Abdul-Azim al-Mat'ani in Arabic rhetorical renewal.

Sheikh Abdul-Azim Al-Mat'ani, is profoundly considered one of the prominent and distinguished Quranic Scholars in the Islamic world. This research casts the light on the feature of his innovations on Arabic rhetoric, by studying his trademark idioms and expressions, and also, his attempts to refine and redefine the existing Eloquence terminologies.

***Keywords*: Abdul-Azim Al-Mat'aani - Rhetorical renewal - Quranic Scholars - Rhetorical literary**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمدُ لله خلق الإنسان علَّمه البيان، الحمد لله الذي أمرنا أن نزن كل شيء بالميزان فلا نطغى في الميزان، وأمرنا ألا نبخس الناس أشياءهم، والصَّلاة والسَّلام على خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ العربي الهاشمي المجتبى، وعلى آله وأصحابه وأنصاره.

وبعد ،،،

فقد جعل الله شهادة أهل العلم مثل شهادة الملائكة على أمر التوحيد، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] "وفي هذه الآية دليلٌ على فضل العلم وشرف العلماء، فإنه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء، لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء. ومُعلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتَّى الحيتان في البحار.

وهذا البحث مُنْصَبٌّ على عَلَمٍ من أعلام العربية وفارسٍ من فرسان البيان، وبطل من أبطال الدعوة، طلب العلم مُذ نعومة أظفاره، ولم يترك قلمه حتَّى وافى الكتاب أجله، وترك لأمته الإسلامية عشرات الكتب والمصنفات التي أثرى بها المكتبة البلاغية خاصة والإسلامية عامة، والذي طالما صال وجال مدافعا عن الإسلام، مفندا لشبهات المشككين، إنَّه الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله.

وقد كان ـ رحمه الله ـ يقف على ثغرة من ثغرات الإسلام، دافع وكافح عن دينه حتَّى لقي ربه، وقد كان لا يفارق قلمه، ولا يفارقه حتَّى لقي ربه. ومهما كلَّفه قول الحق، فإنَّه لا يبالي، وكم أثخنت وأوجعت كلماته كُلَّ من أراد الإسلام

والمسلمين بسوء، وقد كان . ولا نزكي على الله أحدا . عالماً عاملاً شجاعاً واسع العلم ثاقب الفكر.

وكان من مدرسة في البلاغة القرآنية خاصة قَلَّ أصحابها، وصاحب نَهْج علمي قلَّ رواده. ويأتي هذا البحث ليلقي الضوء على شيء: (من جهود الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ في التجديد البلاغي) رحمه الله، في محاولة لرصد بعض هذه المعالم، بغية الوقوف على الجديد الذي أضافه إلى المكتبة البلاغية؟ ولا سيما أنَّ الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ من مدرسة ترى أنَّ تجديد علم البلاغة العربية لا يكون إلا بالاعتماد على القديم، وتنقيته مِمَّا شابه من غير جنسه، وأنَّ التجديد يجب أن يكون نابعا من ثقافتنا العربية الخالصة.

ويأتي هذا البحث – إن شاء الله تعالى – في مقدمة، ثم تمهيد به قسمان الأول: ترجمة موجزة عن الشَّيْخ، والثاني يلقي الضوء على ماهية التجديد، ومسالك التجديد عند الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ، ويعقب التمهيد فصلان:

الفصل الأول: سيعني بدراسة إعجاز القرآن عند الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ، وعنوانه: (من جهوده في الإعجاز القرآني) وبدأتُ بإعجاز القرآن لأنَّه الغاية، وعلم البلاغة هو الوسيلة لهذه الغاية، وفي هذا الفصل مبحثان:

الأول عنوانه: المفردة القرآنية مدخل إلى بيان إعجاز القرآن الكريم، ويعنى بدراسة اهتمام الشَّيْخ أ.د/ عبد العظيم المُطْعَنِيّ بالمفردة القرآنية نافيا ودور الترادف في القرآن.

أمَّا المبحث الثاني فهو لدراسة: إعْجاز الرسم العثماني (الإعجاز الخَطِّي) وبه عرضٌ لأقوال العلماء في قضية أعجاز الرسم العثماني، والرأي الذي ارتضاه

الشَّيْخ في هذه المسألة، ودوافعه لدراسة هذا اللون من الإعجاز، وبعض نماذج للإعجاز الخَطِّي التي التمس الشَّيْخ فيها الأسرار والدقائق في الرسم العثماني.

والفصل الثاني : يعنى بجهوده في التجديد في متن البلاغة عند الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ، وعنوانه:(من جهوده في التجديد في متن البلاغة)

ويأتي في مبحثين؛

المبحث الأول عنوانه: ما خالف فيه البلاغيين، وهو يتناول بعض المصطلحات البلاغية التي أعاد الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ ضبطها، وقد اتخذ من (المبالغة البديعية.. أنموذجا) لهذه المصطلحات.

أمَّا المبحث الثاني فيتناول أهم المعارك البلاغية التي خاضها الشَّيْخ دفاعًا عن البلاغة العربية وهي: معركة المجاز.

ثم خاتمة بها أهمُّ النتائج التي رصدها البحث، ثم الفهارس. وسوف تعتمد هذه الدراسة بإذن الله تعالى على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، والمنهج المقارن؛ لأنَّ هذه المناهج أليق بمثل هذه البحوث.

وتعد هذه الدراسة باكورة الدراسات التي تتناول جهد الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ والتي تحاول أن تميط اللثام عن كثير من القضايا البلاغية والنقدية التي تعرَّض لها الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ. بإنصاف وتجرد دون تحيز أو هوى.

وأرجو أن يوفِّق الله الباحث في أن يوفي الشَّيْخ جزءا من حقه، وذلك عن بيان شيء من جهوده في حقل الدراسات البلاغية، وعسى أن تُشفع هذه الدراسة بدراسات أخرى تُكمِّلُها، وترصد جميع معالم التجديد البلاغي عند الشَّيْخ أ.د: عبد

العظيم المُطْعَنِيّ، فإنَّ ما جاء في هذه الدراسة إنما هو إشارة لا إحاطة. وقديما قالوا: إنَّ البنان – على الإشارة – لأقدر من الباع على الإحاطة، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، فإنْ وفقت فهذا فضل الله، وإنْ كانت الأخرى فحسبي أنِّي أولُ طارق، وأنِّي قد اجتهدتُ قدرَ طاقَتِي، والكمالُ للهِ وحْدَه وأسأل اللهَ أن يغفر لنا ما قصَّرنا، ويثيبنا على ما بذلنا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلَّى الله على نبينا محمد بن عبد الله وسلم تسليما كثيرا.

تمهيد

القسم الأول : ترجمة موجزة[1]

- مولده ونشأته:

هو الشَّيْخ الدكتور عبد العظيم بن إبراهيم بن محمد المُطْعَنِيّ، ينتهي نسبه إلى رقبيلة الخزرج التي ناصرت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وهي إحدى قبيلتي الأنصار. انتقل الأجداد في رحلة كبرى غايتها نشر الدين الإسلامي، حتَّى استقروا في جزيرة المنصورية– مركز كوم أمبو – محافظة أسوان أقصى جنوب صعيد مصر. وُلِدَ الشَّيْخ بتاريخ ١٥ مايو ١٩٣١م في قرية المنصورية. وحفظ القرآن الكريم في كُتَّاب القرية، وكان محفظه هو الشَّيْخ: سالم علي. وقد كان الشَّيْخ سالم ذا بصيرة، ويحفظ القرآن عن ظَهْر قلبه، وكان ذا ذاكرة قوية، ووِرْدٍ دائم، وكان الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ ممَّن كتب القرآن على الألواح، وقد خرج من كتّاب القرية إلى أروقة العلم في الأزهر، وكان الذي قدَّم للشيخ في الأزهر هو الشَّيْخ نعمان رجب شطا، من أبناء فارسكور (محافظة دمياط) وكان من وعَّاظ الأزهر، ورأى فيه نباهة وحبًّا للعلم؛ فساعده على الالتحاق بالأزهر الشريف، في أربعينيات القرن الماضي، ولكن شاء الله – تعالى– أن يفوته امتحان القبول بسبب تأخره عن الوقت المحدَّد للامتحان، فالتحق بمعهد البعوث الإسلامية الأزهر مستمعا، بعدما قدَّم التماسا وافق عليه مدير مكتب شيخ الأزهر، وهذه الدراسات هيَّأته ووسَّعت مداركه الذهنية حتَّى التحق رسميًّا في العام التالي، وبدأ المشوار العلمي، وحصل على

(١) اعْتمِد في هذه الترجمة على ترجمة كُتبتْ في حياة الشيخ وأقرَّها، وبترجمة له على موقع جامعة أم القرى وبما نشر في الصحف عند وفاته، وأيضًا كتاب (العلَّامَةُ عبد العظيم المطعني حياته وجهاده للإسلام) إعداد: الشيخ أحمد مصطفى فضيلة. مكتبة الإيمان ط : أولى ٢٠١٠م.

شهادة إتمام الدراسة الابتدائية (الإعدادية) من الأزهر، عام ١٩٥٧م وكان في كل عام ينجح بتفوق ملحوظ ثم التحق بمعهد القاهرة الثانوي الأزهري، وكانت مدة الدراسة خمس سنوات متواصلة، وتخرَّج فيه في بداية ستينيات القرون الماضي، في عام ١٩٦٢م.

- دراسته في جامعة الأزهر:

في عام ١٩٦٢م التحق بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر الشعبة العامة، وتخرج فيها عام ١٩٦٦م ، والتحق بالدراسات العليا في الكلية قسم البلاغة والنقد، قدَّم فيها بحثا للحصول على درجة التخصص الماجستير، وكانت بعنوان :"سحر البيان في مجازات القرآن" وحصل عليها بتقدير ممتاز.

ثمَّ حصل على درجة الدكتوراه، وكان موضوع أطروحته للعالمية "خصائص التعبير في القرآن الكريم.. سماته البلاغية" وقد تحدَّث عن بحثه قائلًا:" في صبيحة يوم الاثنين ٢٥ من شهر إبريل عام ١٩٧٤م نُوقش البحثُ في مدرج "العقاد" من العاشرة صباحاً حتَّى الواحدة ظهراً. وكانت الهيئة العلمية المنوط بها أمر التقويم مكوَّنة من ثلاثة أساتذة مخضرمين، ولهم قدم راسخة في قادة التخصص – البلاغة والأدب والنقد –وهم رحمهم الله :

الأستاذ الدكتور كامل إمام الخولي –عميد كلية اللغة العربية – : وقتذاك – ورئيس قسم البلاغة والنقد بها.

الأستاذ الدكتور/ حامد حفني داود– أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد في كلية الألسن بجامعة عين شمس – حينذاك. ثم الأستاذ الدكتور/ يوسف البيومى البسيونى– أستاذ البلاغة والنقد فى كلية اللغة العربية – إذ ذاك."[1]

وقد حصل على العالمية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٧٤م عين مدرسا في كلية اللغة العربية بالأزهر.

- **التدرج الأكاديمي**:

– في عام ١٩٨١ حصل أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ على درجة أستاذ مساعد في البلاغة والنقد، وكانت كتبه حتَّى هذا العام هي:

– علم البيان بالاشتراك مع الدكتور محمود جميل أستاذ البلاغة والنقد بالكلية.

– ساعة مع القرآن العظيم (دراسة موجزة في أساليب البيان القرآني)

– التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم (الهمزة المجردة في الفعل الماضي)

– التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز.

– البديع من المعاني والألفاظ.

– التشبيه والتمثيل بين الإمام عبد القاهر والخطيب.

– الهمزية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم رائعة الإمام البوصيري رضي الله عنه. عرض وشرح وتحليل.

أمَّا كتبه التي حصل بها على درجة الأستاذية عام ١٩٨٥م، فهما كتابان أولهما كتاب (المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين الإجازة والمنع ... عرض وتحليل ونقد).

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٣/١) مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م

أمَّا الكتاب الآخر فهو (من قضايا البلاغة والنقد).

- **وظائفه داخل أسوار الجامعة**:

-مدرس بكلية اللغة العربية بالقاهرة – الأزهر (١٩٧٤م)

-أعير إلى جامعة الملك عبد العزيز بن سعود بمكة المكرمة مدة عامين (١٩٧٩-١٩٨١م)

-أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بالقاهرة – الأزهر (١٩٨١) .

-أعير إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة مدة عامين (١٩٨٢-١٩٨٣) .

-ذهب أستاذا زائرًا في كلية التربية للبنات بمكة المكرمة لمدة ثلاثة أشهر عام١٩٨٥م

-أستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة – الأزهر (١٩٨٥م) .

أعير إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة مدة خمس سنوات (١٩٨٨-١٩٩٣م) وكان منزله في حي العزيزية موئلا لطلبة العلم والأهل والأصدقاء.

-مستشار تعليمي لمدير جامعة أم القرى (١٤١٤-١٤١٧هـ) وهذا آخر عام في عمله في جامعة أم القرى . مكة المكرمة.

-أستاذ متفرغ بكلية اللغة العربية . إيتاي البارود . (١٩٩٨م)

أعير إلى جامعة البحرين أستاذا زائرا لمدة عام واحد (٢٠٠٣م)

- **المؤلفات العلمية**:

ذكرنا بعضا من مؤلفاته العلمية، حتَّى حصوله على درجة الأستاذية، ومن نتاجه العلمي بعد عام ١٩٨٥م :

(في مجال البلاغة والنقد)

- علم الأسلوب في الدراسات الأدبية.
- دراسات جديدة في إعجاز القرآن.

• لطائف وأسرار الرسم العثماني للمصحف الشريف ـ مقالات في مجلة منبر الإسلام.

• المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار.

• «التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم» في أربعة أجزاء. وقد استقرأ فيه جميع آيات الاستفهام في الذكر الحكيم، وهو يعد أول تفسير موضوعي لـ (١٢٦٠) استفهاما في القرآن الكريم، وهو امتداد لدراسة سابقة تناول فيها الهمزة المجردة في الفعل الماضي، تناول فيها أداة واحدة هي (الهمزة) ومستفهم عنه واحد، وهو الفعل الماضي، أما في هذا الكتاب فقد تناول جميع أدوات الاستفهام، وقام بتحليل تفصيلي للجملة الاستفهامية مبينا جمال النظم في العبارة القرآنية.

• الحداثة سرطان العصر، أو ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث.

• مصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير.

• جوانيَّات الرموز المستعارة لكبار أولاد حارتنا.

• أبي آدم.. قصة الخليقة بين الخيال الجامح والتأويل المرفوض.

- وفاته:

أصيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بداء السكري في أواخر حياته وقد اشتد به المرض في زيارته للبحرين فتركها وعاد إلى وطنه ولم يزل به المرض حتَّى بُترت إحدى ساقيه، ثمَّ شاء الله تعالى أن يصاب في سمعه، وقد كان يتواصل مع الناس بالكتابة فكان يقرأ ما يكتبه له من يريد محادثته على جذاذات من الورق، وقد استقبل الشَّيْخ هذا البلاء بقلبٍ صابرٍ محتسبٍ، ثمَّ تعرضت السَّاقُ الأخرى لما تعرضت له السَّاقُ الأولى، فلم يزده هذا إلا ثباتًا، ولم يغيِّرْ نشاطه الاجتماعي، وكان كثيرَ التواصل مع الناس، فزيارات طلبة العلم لم تنقطع عن داره، ونشاطه الدعوي لم يتوقف، ولم يمنعه مرضه من المضي قدما في طريقه الذي اختاره، فكتب في هذه الفترة:

• المشروع الإسلامي البديل لوثائق الأمم المتحدة.

• ملاحظات موضوعية حول فتوى إسلام المرأة دون زوجها، وهل يُفَرَّقُ بينهما؟ كان يرد فيها على فتوى من أباح للمرأة التي أسلمت حديثا أن تستمر في حياتها الزوجية تحت زوجها غير المسلم.

وقد وافى الكتاب أجله، وفاضت روحه إلى بارئها في مساء يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رجب عام ١٤٢٩هـ الموافق التاسع والعشرين من شهر يوليو ٢٠٠٨م، وقد كانت جنازته رحمه الله في يوم الأربعاء الموافق ٣٠ من يوليو٢٠٠٨م، أسأل الله تعالى أن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

القسم الثاني : ماهية التجديد؟

مادة التجديد تدور حول القطع، قال أحمد بن فارس (ت:٣٩٥هـ): الْجِيمُ وَالدَّالُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ الْعَظَمَةُ، وَالثَّانِي الْحَظُّ، وَالثَّالِثُ الْقَطْعُ... وَقَوْلُهُمْ: ثَوْبٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ مِنْ هَذَا، كَأَنَّ نَاسِجَهُ قَطَعَهُ الآنَ. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، ثُمَّ سُمِّيَ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ جَدِيدًا ؛ وَلِذَلِكَ يُسَمَّى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ الْجَدِيدَيْنِ وَالْأَجَدَّيْنِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا جَاءَ فَهُوَ جَدِيدٌ.(١) ومنه قَوْلُهُمْ: حبل جَدِيد: مَقْطُوع ... ومِلْحفة جَدِيدٌ، وجَدِيدة: حِين جَدّها الحائك: أَي قطعهَا.(٢)

والتجديدُ مصدر مِن جدَّد الشيء صيَّره جديدًا، وهو إعادة الشيء بعد فترة، ومنه: تجديد الوضوء(٣).

ومفهوم الاجتهاد ليس مقصورا على علم ما من علوم الإسلام، بل هو ضارب في جميع علوم الإسلام، سواء أكانت علوم آلة أو علوم غاية.

والتجديدُ يختلف مفهومه باختلاف موصوفه، فتجديد البلاغة غير التجديد في علم أصول الفقه، غيرُ التجديد في علم الفقه، ولكل أدواته وسبله ورجاله.

ومِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ علوم البلاغة تحتاج إلى التجديد المبني على بصيرة من العلم، لا تجديد مَن عناهم الشَّيْخ علِيّ محمد حسن العَمَّاري (١٩١٣-١٩٩٨م) بقوله: "يحْلُو لبعض المعاصرين أن يسموا أنفسهم مجددين، كلٌّ فيما يزاول من علم

---

(١) مقاييس اللغة (١/٤٠٦- ٤٠٩) تحقيق الأستاذ: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ١٨٦) ابن سيده المرسي - تحقيق : عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

(٣) معجم لغة الفقهاء (١٢١) محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي - دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

أو فن، ولعل هذا الادعاء عارض نفسي يعرض لكثيرين في كلُّ عصر ولاسيما من يغرمون بالشهرة، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

وتجديد هؤلاء من العجب، فما هو إلا أن تِعنّ فكرة في رأس أحدهم حتَّى يطير بها، ويكاد يجن فرحاً وغروراً، ولو عرف قدر نفسه وتأنى قليلا لأدرك إنما خيل له، وليس هو التجديد، ولكنه قصور الفهم، وضلال العقل، وعمل الغرور."[1]

وفِعْلُ التجديد إمَّا أن يقع على الشيء القديم المعلوم، فيصير جديدا، ويتمثل في إزالة سمات الوهن التي لحقته، وإعادة الترتيب والتبويب والأمثلة، ومن هذا اللون أيضًا العمل على إبراز مكنونات العلم وإيضاح مشكلاته ومبهماته، وتفصيل ما أجمله أهل العلم، وبيان الخبيء في أفكار العلماء. والعناية بتيسير مكنونات العلم وإيضاح مشكلاته ومبهماته، وتفصيل ما أجمله أهل العلم، وبيان الخبيء في أفكار العلماء. وهذا يستلزم ضرورة أن ينطلق التجديد من القديم.

وإمَّا أن يقع التجديدُ على الشيء المخترع الذي لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ فيسمَّى جَدِيدًا. فيكون التجديد هنا بمعنى الاختراع، ويتأتَّى هذا بصكِّ مصطلحات جديدة تدعو إليها الحاجة.

وصيغة التفعيل تعني إحداث الفعل التجديدي والإحيائي الذي يرادُ به تنقية المحتوى من الشوائب، وجعله واضحًا صافيا، ومما يقتضيه هذا المنهج الإحيائي الردُّ على أهل الأهواء والشبهات والشهوات، كما يعني التجديد الاجتهاد في مسائل العلم. ومستند هذا ما رواه أبو داود بسنده المتصل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا أَعْلَمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا."[2] ومن فقه أبي داود أنَّه أورد هذا الحديث الشريف في

(١) مجلة الرسالة العدد ٦٨٧ – بتاريخ: ٠٢ – ٠٩ – ١٩٤٦م

(٢) سنن أبي داود(١٠٩/٤) تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية، بيروت

كتاب الملاحم، وجَمْعُ الْمَلْحَمَةِ، وَهِيَ الْمَقْتَلَةُ، أَوْ هِيَ الْوَاقِعَةُ الْعَظِيمَةُ. وَفِي النِّهَايَةِ: هِيَ الْحَرْبُ وَمَوْضِعُ الْقِتَالِ، مَأْخُوذٌ مِنَ اشْتِبَاكِ النَّاسِ وَاخْتِلَاطِهِمْ فِيهَا، كَاشْتِبَاكِ لُحْمَةِ الثَّوْبِ بِالسَّدَى . وَقِيلَ: هِيَ مِنِ اللَّحْمِ لِكَثْرَةِ لُحُومِ الْقَتْلَى فِيهَا."[1]

وهذا يشير إلى ماهية المعارك الفكرية التي يكون للمجتهد دوره في الدفاع عن حياض الإسلام ونصرة أهله، مثل المعارك الحربية سواء بسواء، وإنْ كانت معارك العلماء الفكرية أدواتها الأقلام والمداد، لا الرماح والسنان.

مسالك التجديد البلاغي عند الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ:

جاء تجديد الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ في مسلكين، المسلك الأول يتمثل في جهد الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ في حقل الإعجاز القرآني، ويهتم بصكّ مصطلحات جديدة اقتضاها النظر في النصوص، وذلك مثل إعجاز الرَّسم العثماني (الإعجاز الخَطِّي) ، أو بيان إعجاز القرآن الكريم في اصطفاء الكلمة القرآنية. أمَّا المسلك الثاني فيناقش التجديد في متن البلاغة محوران الأول: يهتم بالنظر في مصطلحات البلاغة، من حيث إعادة النظر في محتوى المصطلح، وصياغته، وتحديد ضوابطه من ذلك دراسته للمبالغة البديعية، والسجع، وانتهى إلى أنَّه" من المحظور تطبيقها على البيان القرآني، وأنَّه ينبغي إعادة النظر فيها"[2]

أمَّا المحور الثاني فيتمثل في الذَّبِّ عن التراث الإسلامي عامة والبلاغي خاصة، وقد خاض الشَّيْخ معارك كبرى مدافعًا عن لغة القرآن، وعن البلاغة العربية، من هذه المعارك قضية المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين الإجازة والمنع حيث

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٣٢/١) دار الكتب العلمية – بيروت ط: الثانية، ١٤١٥هـ .

(٢) ينظر: من قضايا البلاغة والنقد (١٥٧–١٦٠) توزيع السلام العالمية. ط أولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

قام بعرض القضية، وتحليلها، وانتهى فيها إلى حكم مفاده: أنَّ إنكار المجاز دعوى لم يكتب لها النجاح، وإنْ لاقت حظًّا من الانتشار والشهرة. [1]

(١) ينظر المجاز في اللغة والقرآن الكريم (٢/٥٢١)

الفصل الأول

من جهود الشَّيْخ أ.د:عبد العظيم المُطْعَنِيّ في الإعجاز القرآني

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: المفردة القرآنية مدخل إلى بيان إعجاز القرآن الكريم

المبحث الثاني : إعجاز الرسم العثماني (الإِعْجَازُ الخَطِّيّ)

المبحث الأول

المفردة القرآنية مدخل إلى بيان إعجاز القرآن الكريم

من التجديدِ الذي يُحسب للشيخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ دراسته التي بعنوان: (دراسات جديدة في إعجاز القرآن ـ مناهج تطبيقية في توظيف اللغة)، وكان قد فرغ منه ونشره عام ١٩٩٦م، ويظهر التجديد في هذه الدراسة أنَّها اهتمَّت بالمفردة القرآنية، وإنْ كان علماء البلاغة قد عنوا بإبراز وجوه البلاغة وأسرار النظم القرآني، فَإنَّ هذه الدراسة قد اهتمتْ بفرائد هذا النظم المعجز باعتبارها الخطوة الأولى في الكشف عن أسرار الإعجاز البلاغي اللغوي، وكان جهد هذه الدراسة يظهر في الجواب عن سؤال مفاده: ما الدواعي البلاغية لإيثار القرآن كلمة دون أخرى؟

وهذا قد أوجب عليه تتبع المادة محل الدراسة في القرآن الكريم بناءً على منهج عام ألزم نفسه به، اعتمد على محورين:

المحور الأول: دراسة لفظية من خلال استعمال لغة القرآن لما يظن أنهما من المترادفين بيد أنَّ استعمال القرآن لهما يبيِّن في وضوح أنَّ لكلٍ منهما معنًى خاص، حتَّى وإن كان اللفظان مترادفين في الوضوح اللغوي.

وهذا منهج يضطره أحياناً إلى تجاوز النظر في اللفظين إلى ثالث أو رابع أصلها الدلالي واحد في اللغة– وضعا، واستعمالاً.

أمَّا في القرآن فتجدها دلالات دقيقة تنفي عنها وصف الترادف، وذلك مثل: أب، والد.

المحور الثاني: فقد دار اللفظ فيه على مادة أو لفظ واحد باحثاً عن الفروق للصياغات المختلفة لتلك المادة من الفعلية والاسمية والمصدرية، وفي الصور الفعلية، وفي الصور الفعلية قد تختلف دلالة صورة مع دلالة صورة أخرى.

فمثلا مادة (ختم) وجدنا أنَّ القرآن يفرق بين دلالة الصورة الفعلية فيخصها بمقام لا تتعداه إلى غيره. ومن دلالة الصورة الاسمية فيخصها بمقام آخر يغاير تماما لمقام الصورة الفعلية.(١) وقد بلغت المواد التي درست في هذا الكتاب أربعين مادة على سبيل الإجمال. وهذه الدراسة تعد "تجربة جديدة تحاول استجلاء واقعية الإعجاز من داخل النظم نفسه – ليست وصفا له من الخارج تكتفي بسرد وحدة الإعجاز وضبطها دون التمثيل الدقيق والمستفيض عليها." (٢)

جذور هذه الدراسة عند العلماء:

من الأصول التي أصلها علماء البلاغة أن النظم توخي معاني النحو في الكلام، وأن الأسرار والدقائق تتفاوت، وأنَّ المعاني تتفق و تختلف، ولذا قال الشَّيْخ عبد القاهر الجرجاني (المتوفى:٤٧١هـ) :

"واعلم أنَّ غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصّل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصل أجناسها وأنْواعها، وأتتبّع خاصّها ومُشَاعَها، وأبيِّن أحوالها في كرم مَنْصبها من العقل، وتمكُّنَها في نِصَابه."(٣) منتهيا إلى نظرية النظم التي أرجع إعجاز القرآن إليها، وبينُّه بقوله: "اعْلَمْ أَنْ ليسَ "النظمُ" إلا أنْ تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ "علمُ النحو"، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها."(٤)

(١) ينظر دراسات جديدة في إعجاز القرآن ـ مناهج تطبيقية في توظيف اللغة (٦)

(٢) دراسة جديدة في إعجاز القرآن (٩)

(٣) أسرار البلاغة (٢٦) قراءة وتعليق الأستاذ محمود شاكر – مطبعة المدني.

(٤) دلائل الإعجاز(٨١)

وقد فتنت طريقة الشَّيْخ عبد القاهر من جاء بعده، وقد كان عمل جار الله الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) وصنيعه في الكشاف ثمرة النبتة التي غرسها الشَّيْخ عبد القاهر في كتابيه. ومن جاء بعدهما سار على طريقهما.

ومن الأصول البلاغية قبل الشَّيْخ عبد القاهر النظر إلى المفردة. وأنَّ المفردة لها استخدام في المقام دون مقام. ويعدُ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(المتوفى: ٢٥٥هـ) من المبكِّرين في الحديث عن هذا الأمر، عندما تحدث استعمال كلمة الغيث والمطر، و الجوع والمسغبة. قال: "وَقَدْ يَسْتَخِفُّ النَّاسُ أَلْفَاظًا وَيَسْتَعْمِلُونَهَا، وَغَيْرُهَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهَا. ألا ترى أنَّ الله بَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَذْكُرْ في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المُدْقِعِ وَالعَجْزُ الظَّاهِرُ. والناس لا يذكرون السغب وَيَذْكُرُونَ الجوع في حال القدرة والسلامة. وَكَذَلِكَ ذكر المَطر؛ لِأَنَّكَ لَا تَجِدُ القُرْآنَ يَلْفِظُ بِهِ إِلَّا فِي مَوْضِعِ الِانْتِقَامِ.

وَالعَامَّةُ وَأَكْثَرَ الخَاصَّةِ لَا يَفْصِلُونَ بَيْنَ ذكرِ المطر وبين ذكر الغيث. وَلَفَظَ القُرْآنِ الَّذِي عَلَيْهِ نُزِلَ أَنَّهُ إذا ذكرَ الأبصارَ لم يقلْ الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا. وَالجَارِي عَلَى أَفْوَاهِ العَامَّةِ غَيْرَ ذَلِكَ، لَا يَتَفَقَّدُونَ مِنْ الأَلْفَاظِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِالذِّكْرِ وَأَوْلَى بِالِاسْتِعْمَالِ.."[1]

وقد انتفع الخطَّابي حمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٣٨٨هـ) بما قاله الجاحظ، وتحدَّث عن الخصوصية التي تحملها كلُّ لفظة، وأنَّ "كل لفظة منها

(١) البيان والتبيين (٤١/١) دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٤٢٣ هـ

خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها." [١]

قال موضحًا هذا الأصل: "اعلم أَنَّ عَمُودَ هَذِهِ البَلَاغَةِ الَّتِي تَجْمَعُ لَهَا هَذِهِ الصِّفَاتِ: هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أنَّ في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنَّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب."[٢] وتأتي مقولةُ ابن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ) مبينة أنَّ الكلمة القرآنية لا تسد غيرها مسدَّها، وأنَّ لو محاولة العثور على كلمة ترادف الكلمة اللغة القرآنية هي محاولة محكومة عليها بالفشل الذريع، ولو رام صاحبها أن يبحث في كلِّ مفردات اللغة من ألفها إلى يائها فلن تجد كلمة تسد مسد الكلمة القرآنية قال: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثُمَّ أُدِيرَ لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد."[٣]

وقد عاد الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ إلى هذا الأصل البلاغي القديم؛ ليكشف لنا عن شيء من أسرار الذكر الحكيم في اصطفاء المفردة القرآنية ليفرق بين دلالة مفردة وأخرى مما يتوهم أنهما من قبيل الترادف. والفكرة قد تلمع في أفق

(١) بيان إعجاز القرآن (٢٩) تحقيق: حمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام –: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٢) دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ

العقل، ثم تتوارى حتَّى يشاء الله تعالى أن ينشرها مرة أخرى في زمن آخر، ويأذن الله لمن شاء أن يكشف عن هذا الخبيء الدفين. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

اعتراض ودفعه:

قد تقضي النظرة العجلى ويسبق إلى الوهم تعارض نظرية النظم ودراسة الفروق التي بين الألفاظ المترادفة، وذلك لأنَّ الشَّيْخ عبد القاهر الجرجاني قد صرح بعدم اشتغال البلاغيين بالكلمات فقال رحمه الله: "هذا ما ينبغي للعاقلِ أن يَجْعلَه على ذكر منه أبدًا، وأن يعلم أنه ليسَ لنا إذا نحنُ تَكلَّمْنَا في البلاغةِ والفصاحةِ معَ معاني الكلِم المفردةِ شغلٌ، ولا هيَ منَّا بسبيل، وإنَّما نَعْمَدُ إلى الأحكام الَّتِي تَحْدُثُ بالتأليف والتركيب."(١)

وقد سارع الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله- إلى تفنيد هذا الوهم حتَّى لا يستقر في الأذهان فقال: إنَّ النظر في مفردات القرآن على هذا النحو والذي ستقرأه في هذه الدراسة لا يتعارض مع نظرية النظم؛ لأنَّ اختيار اللفظ هو اللبنة الأولى في صرح النظم البديع المعجز، وخطوة أصيلة في فهم الإعجاز النظمي البلاغي الذي يكون في دراسة التراكيب القرآنية وما تحفل به من سمات إعجازية تالية لا يتوصل إليها إلا من خلال النظر في التراكيب القرآنية المعجزة وأوضاعها اللغوية من تقديم وتأخير وذكر وحذف، وتعريف وتنكير، وإظهار وإضمار يتجلى الإعجاز القرآني البلاغي اللغوي في أبهي. وأروع نماذجه.(٢)

والبحثُ في المفردات قد شغل علماء العربية، ولكن كان له جهات مختلفة غير التي قصدها الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله – فعلماء اللغة اهتموا بجمع مفردات اللغة وتدوينها في معاجم تضم ألفاظ اللغة ومعانيها، وأمَّا علماء

(١) دلائل الإعجاز(٧٢).

(٢) دراسة جديدة في إعجاز القرآن (٨-٩) .

الصرف فقد اهتموا بدراسة المفردة اللغوية ممن حيث بنيتها وصيغتها الصرفية من حيث إعلالها وإبدالها، والأصلي والزائد في الصيغة الصرفية. واهتم علماء البلاغة بدراسة الحقيقة والمجاز والعلاقة بين الاستعمال الحقيقي والمجازي والقرينة المانعة. وكذلك تحدثوا عن السرِّ في اصطفاء الكلمة في السياق، ولكن لم تصرف عنايتهم في الغالب لبيان الفروق الدقيقة والأسرار الخاصة للألفاظ المترادفة على الرغم أن إمام البلاغيين الشَّيْخ عبد القاهر الجرجاني قد اهتم بيان سر اصطفاء الكلمة المفردة في التركيب، وقد وَزانَ بين الكلمة الواحدة فاستحسنها في تركيب، وذمَّها في آخر، وذلك لأنَّ الكلمة تروق في تركيب، وتنفر في تركيب آخر، قال الشَّيْخ عبد القاهر رحمه الله: "تَرى الكلمةَ تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ، ثم تَراها بعينِها تَثْقُلُ عليكَ وتُوحِشُك في موضعٍ آخرَ، كلفظِ "الأَخدع" في بيت الحماسة: (الطويل) .

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيَّ حتَّى وجدْتُني ∴ وَجِعْتُ مِنَ الإِصْغاءِ لِيتًا وَأَخْدَعا[1]

وبيت البحترى: (الطويل)

وإني وإن بلغني شرَفَ الغِنى ∴ وأَعتقْتَ مِنْ رِقِّ المَطامع أَخْدَعي[2]

فإنَّ لها في هذين المكانَين ما لا يَخْفى مِن الحُسْن، ثم إنّكَ تتأَمَّلها في بيت أبي تمام: (المنسرح)

يا دَهْرُ قوِّمْ مِن اخْدَعَيْكَ فقدْ ∴ أضْجَجْتَ هذا الأنامَ مِن خَرُقكْ[3]

فتَجدُ لها مِنَ الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكْدير، أضعافَ ما وجدتَ هناك منَ الروْح والخفة، ومن الإيناس والبهجة. ومِنْ أَعجبِ ذلك لفظةُ "الشيءِ"،

(١) الصمة بن عبد الله القشيري حياته وشعره (١١١) جمع وتحقيق د: خالد بن عبد الرءوف الجبر. دار المناهج ـ الأردن

(٢) ديوان البحتري (١٢٤١) تحقيق: حسن كامل الصيرفي ـ دار المعارف ـ مصر

(٣) ديوان أبي تمام شرح التبريزي (١٠٢/١) تحقيق: راجي الأسمر ـ دار الكتاب العربي مصر

فإنكَ تَراها مقبولة حسنةً في موضعٍ، وضعيفةً مستكْرَهة في موضع...وهذا بابٌ واسعٌ فإنَّك تجدُ متى شئتَ الرّجلينِ قد استعملا كَلمًا بأعيانِها. ثم ترى هذا قد فرعَ السَّماكَ وترى ذاكَ قد لصقَ بالحَضيضِ.(١)

وقال أيضا رحمه الله : "تَرى اللفظَة المستعارةَ قد استُعيرتْ في عدَّةِ مواضعَ، ثم تَرى لها في بعضِ ذلك مَلاحةً لا تَجِدُها في الباقي. مثالُ ذلك أنك تَنْظر إلى لفظةِ "الجِسْر" في قولِ أبي تمام: (البسيط) .

لا يَطْمعُ المرءُ أن يجْتابَ لُجَّتَهُ ∴ بالقولِ ما لمْ يَكُنْ جِسْراً له العَمَلُ(٢)

وقوله: (البسيط)

بَصُرْتَ بالرَّاحةِ العُظمى فلَمْ تَرَها ∴ تُنَال إلاّ عَلَى جسرٍ منَ التعَبِ(٣)

فتَرى لها في الثاني حُسْناً لا تَراه في الأَول، ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرقى: (البسيط):

قُولي: نَعمْ، ونَعمْ إنْ قُلتِ واجبةٌ ∴ قالتْ: عَسى، وعسى جِسْرٌ إلى نَعَمِ(٤)

فتَرى لها لُطْفاً وخَلابةً وحُسْنًا، ليس الفَضْلُ فيه بقليل."(٥)

وقد اهتمتْ دراسةُ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ بنفي الترادف في الألفاظ التي يوهم أنَّها مترادفة، وأخذ على عاتقه بيان الأسرار والدقائق البلاغية الكامنة وراء استعمال أحد المترادفين في تركيب دون تركيب، وأنَّ التساهل في استخدام الكلمة

(١) ينظر دلائل الإعجاز (٤٦- ٤٨)

(٢) ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي (١٠/٢)

(٣) المرجع السابق (٤٩/١)

(٤) شعر ربيعة الرقي (٥٥) صنعة زكي ذاكر العاني . منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد القومي . دمشق . ١٩٨٠م.

(٥) دلائل الإعجاز (٧٨- ٧٩)

المترادفة يؤدِّي لفساد النَّظْمِ، ولظهر الخلل في بناء النَّصِّ، أمَّا في الذكر الحكيم فكلُّ كلمة تأتي في موضعها متآلفة مع سياقها متأصلة في موضعها متسقة مع مقامها، وقد قال الله في وصف كتابه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١،٤٢] .

جذور الفكرة عند الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ:

لم تبدأْ هذه الفكرة في كتابه (دراسات جديدة في إعجاز القرآن . مناهج تطبيقية في توظيف اللغة)، بل بدأت جذور هذه الفكرة إبَّان كتابته لرسالته الماجستير والتي بعنوان: (سحر البيان في مجازات القرآن)، ثم استثمر هذه الفكرة، في أطروحته لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) والتي عنوانها: (خصائص التعبير في القرآن الكريم.. سماته البلاغية) والتي ناقشها في صيف ١٩٧٤م. وقد كان للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (ت:١٩٩٨م) منهجٌ في تناول آيات القرآن الكريم سطَّرته في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) يشابه المنهج الذي سار عليه الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ ممَّا يوحي أنه اقتدى بها، وقد بيَّن رحمه الله عدم اقتدائه ببنت الشاطئ في منهج البحث رغم ما يبدو من تشابه مابين المنهجين، وأن أستاذه في هذا المجال هو أبو عثمان الجاحظ، فقال:

"والواقعُ غير ذلك إذ تقدمت ببحث الماجستير للكلية وموضوعه: (سحر البيان في مجازات القرآن) نحوْتُ فيه هذا المنحنى في فصلين كبيرين وذلك منذ ست سنوات.

وكتابُ المؤلفة ظهر منذ سنتين، بيد أنِّي مدينٌ للجاحظ[1] في هذا السبيل حيث لمح فرقاً بين استعمال القرآن لكلمتي "المطر، والغيث" الأولَى في مقام العذاب،

(١) ينظر البيان والتبيين (٤١/١)

والثانية في مقام الإنعام، كما لمح فرقاً بين كلمتي "الجوع، والسغب" كما أنَّي مدينٌ للخطابي[١] حيث لمح فرقاً بين العلم والمعرفة، والقعود والجلوس.[٢]

الشَّيْخ خالف في كتابه ما كان في رسالته للعالمية:

قد سمَّى هذا المنحى في رسالته للعالمية"خصائص التعبير" منهج الالتزام[٣] ونظرية الالتزام.[٤] أمَّا في دراسة جديدة في إعجاز القرآن" فقد ذكر "المنهج"، ولم يذكر "النظرية" وإنما استخدم ألفاظاً مثل الإيثار، وذلك عندما قال: "يؤثر القرآن ما يلاءم المقام ملائمة لا نظير لها في أي كلام آخر[٥] واستخدم منهج القرآن، وذلك عندما قال: "منهج القرآن في إضافة أصحاب وأولوا[٦] وأتت كلمة الالتزام في بحثه لكلمتي: (قليل) و(كثير) عند حديثه عن سر ورود كلمة (كثير) مفردة ونكرة، قال: مجيء "كثير" في لغة القرآن ملازم للإفراد والتنكير ملازمة تامة."[٧] وطرح سؤالين: لماذا التزام التنكير؟ و لماذا التزام الإفراد؟[٨]

وقد استوقفني هذا الصنيع، فسألته رحمه الله لماذا تخلى عن كلمة "النظرية" التي وردت في أطروحته للدكتوراه؟ فأجابني رحمه الله تنزيهاً للقرآن عن استعمال كلمة نظرية التي تستخدم في حقل العلوم التجريبية، وأنَّ القرآن ليس به نظريات علمية، وإنَّما هي حقائق مطلقة.

---

(١) بيان إعجاز القرآن (٢٩)
(٢) خصائص التعبير القرآني (١/١٧٥)
(٣) المرجع السابق (١/٢٧٨)
(٤) المرجع السابق (١/٢٨٢)
(٥) دراسة جديدة في إعجاز القرآن (٢٣)
(٦) المرجع السابق (٣٩)
(٧) المرجع السابق (٥٢)
(٨) المرجع السابق(٥٣)

وصنيعه هذا يحسب له لا عليه رحمه الله؛ لأنه من مراجعات العالم لما كتب وتدقيقه فيه الْفَيْنَةَ بعد الْفَيْنَةِ، فيثبت ما يراه حقاً، ويمحو الآخر، ورحم الله القاضي الفاضل (ت: ٦٩٥هـ) عندما كتب للعماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ) قال:« رأَيْتُ أنَّه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه، إلاَّ قال في غده:- لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زِيد لكان يُستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر.»[١]

نموذج من الرسالة والكتاب:

فرَّق الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ بين المرأة والزوجة؛ لأنَّه عندما قام بتتبع المنهج القرآني في استعمال القرآن لكلمة المرأة والزوجة، وجد أن استخدام القرآن للفظين مختلف، وأن القرآن لا يستخدم لفظ (زوج) إلا إذا كانت الزوجية كاملة تامة لا يشوبها نقص ولم يدخل عليها دغل، وكان التوافق والاقتران والانسجام بين الزوجين تامّاً بينهما، فإذا اختل شيء من هذا كانت عدل القرآن إلى استعمل لفظ المرأة، وانتهى أ.د عبد العظيم المُطْعَنِيّ إلى أنَّ المرأة ليست زوجاً، قال:

"ومثل هذه الكلمات كلمة " امرأة " فإنَّ القرآن يستعملها في المواضع التي تفقد فيها الحياة الزوجية بعض مقوِّماتها. سواء أكان ذلك من جانب الرجل. أو من جانب المرأة، ويؤثر كلمة " الزوج " متى استقامت تلك الحياة. وكذلك إذا انفصمت عرى الزوجية بموت وما أشبه الموت.[٢]

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١٤/١) حاجي خليفة- دار إحياء التراث العربي. وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٣) لمرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) مؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، وأبجد العلوم (٥٢) للقِنَّوجي (ت:١٣٠٧هـ) دار ابن حزم ط أولى ١٤٢٣-٢٠٠٢م.

(٢) خصائص التعبير القرآني (١/ ٢٩١)

وقد قسَّم استعمال القرآن لكلمة المرأة في مجموعات، فقال: "القرآن يؤثر استعمالها إذا فقدت الحياة الزوجية بعض مقوَماتها. أو مقوماتها كلها. وهذه الآياتُ يمكن تصنيفها من حيث الأساس الذي بيناه إلى المجموعات الآتية :

الأولى : أن يُفرق الموت بين الزوجين كما في آية " امرأة عمران " لأنَّ قولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥] كان بعد موت زوجها عمران.

الثانية : ألا يكون للمرأة زَوْج أصلاً. كما في قصة بلقيس وبنتي شعيب وذلك واضح.

الثالثة : أن يكون العُقْم هو الملاحَظ في الحديث. كما في امرأة العزيز وامرأة زكريا .

الرابعة : أن يكون الاختلاف في الدِّين هو السبب الداعي إلى عدم اعتبار الحياة الزوجية قائمة من كل الوجوه كامرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون.

الخامسة : أن تكون الخلافات الزوجية هي السبب وهي في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ [النساء: ١٢٨]

السادسة : أن يكون الحديث عنها ليس باعتبارها زوجة لأحد، بل باعتبار حقيقتها المقابلة لحقيقة الرجل. مثل: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾[البقرة:٢٨٢].

السابعة : أن يكون الزوجان مِمَّنْ يحادون الله ورسوله. فكأنَّ القرآن-هنا- يعتبر الروابط الزوجية غير قائمة بينهما. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤].[1]

(١) خصائص التعبير القرآني (١/٢٩٣-٢٩٤)

وقد أجمل في الكتاب ما كان في الرسالة، فقال:

١- يطلق القرآن كلمة امرأة في حال الإفراد على الزوجة إذا أصاب العلاقات الزوجية اختلال كنشوب نزاع بين الزوجين أو عقم لدى أحدهما أو كليهما، أو اختلاف دين أحدهما عن الآخر، أو حدث تفريق بينهما بطلاق أو موت، أو وقعت خيانة في العلاقات الزوجية.

٢- كما يطلق كلمة امرأة في الحالات التي لا يكون للوصف بالزوجية علاقة بالمعنى المراد كمقام الإشهاد على الديون، أو إرث الكلالة.

٣- ويطلق كلمة "زوج" إفراداً لا جمعاً في كلِّ الأحوال التي لا يعكر صفو الحياة فيها شيء، طبيعياً كان أو مكتسباً، كالعقم واختلاف الدين

٤- في حالات الجمع يؤثر كلمة أزواج دون امرآت جمع امرأة.

٥- قد يؤثر كلمة "زوج" إفراداً في بعض حالات النزاع المكدرة لصفو الحياة الزوجية لعدم الاعتداد بالنزاع ولمطابقتها لمقتضى الحال[١]

نموذج ختم:

قال في رسالته للدكتوراه: "وباستقراء استعمال القرآن لهذه المادة "ختم" نجد استعمالاتها إذا كانت فعلاً مقصورة على مواضيع الذم متضمنًا السياق الذي هي فيه وصفاً يشعر بذلك الذم متقدماً عليها أو متأخراً عنها أما إذا كانت اسماً فإنها تختص في هذه الحالة لمواضع المدح وقد جاءت كذلك في سورتين: سورة الأحزاب في قوله:﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقد أجمع العلماء على أن ختم الرسل بمحمد صلى الله عليه وسلم وصف شامل لفضائل التعظيم اختص الله به محمدًا .

(١) دراسة جديدة في إعجاز القرآن (١٦٧)

والثانية: سورة المطففين: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦]

وهذه خاصة من خصائص الأسلوب القرآني إذ يفرق بين استعمالات الكلمة الواحدة، فيطرد استعمالها على صورة معينة في موضع، ويطرد صورة أو صورًا أخرى من استعمالاتها أيضاً في موضع آخر."[١]

وهذا الموضع قد بحثه مرة في أخرى في دراسته[٢]ولكن الجديد في الدراسة أنَّه أورد موضعا قد يظن أنَّه لم يجرِ على النسق القرآني في استعمال كلمة "ختم" فعلًا وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى:٢٤]. وذكر قول النسفي في الآية[٣] وضعَّفَه، ورجَّح ما قاله الزمخشري[٤] وابن عطية الأندلسي في الآية[٥]، ثمَّ

(١) خصائص التعبير القرآني (٢/ ٣٠٢)

(٢) دراسة جديدة في إعجاز القرآن (١٧٤)

(٣) قال النسفي: قال مجاهد: أي يربط على قلبك بالصبر على أذاهم، وعلى قولهم افترى عَلَى الله كَذِبًا لئلا تدخله مشقة في تكذيبهم. تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢٥٣/٣) تحقيق: محيي الدين ديب – دار الكلم الطيب، بيروت– ط لأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

(٤) قال الزمخشري: ﴿فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلى قَلْبِكَ﴾ فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم، حتَّى تفترى عليه الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم، وهذا الأسلوب مؤدّاه استبعاد الافتراء من مثله. تفسير الزمخشري = الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٤/ ٢٢١)

(٥) قال ابن عطية: معناه في قول قتادة وفرقة من المفسرين: ينسيك القرآن، والمراد الرد على مقالة الكفار وبيان إبطالها، وذلك كأنه يقول: وكيف يصح أن تكون مفتريا وأنت من الله

قال: هذا هو الأصوب بل الصواب. لا ما جزم به النسفي من قبل عن مجاهد.[1] ثم قال بعد ذلك: "وبعد ذلك الإيضاح إنَّ مادة الخاء والتاء والميم ما جاء منها فعلًا فإنَّ القرآن التزم فيها استعمالاتها في الذمِّ والمجازاة المؤلمة، ولم يشذ منها موضع واحد عن هذا المنهج حتَّى آية الشورى. وللقرآن التزام آخر في الصورة الفعلية، وهو استعمالها في المعنى المجازي دون الحقيقة." [2]

ما جاء في الكتاب ولم يأتِ في الرسالة:

ومِمَّا جاء في الدراسة ولم يأتِ في الرسالة: بيان علة اختصاص الفعل بالذم والعقاب، فقد أورد الشَّيْخ سؤالاً: لماذا اختص الفعل بالذم والعقاب؟[3]

وقد يعود السرُّ في إيجازه في الرسالة إلى أنَّه كان بصدد تحليل مصدر مختار من سورة البقرة، فصنيعه يعد من نافلة البحث.

أمَّا في الدراسة فقد كانت الآية في صلْب الدراسة؛ لذا أطال النَّفَسَ فيها، وكانَ الاستيعاب في الاستقصاء حاضراً؛ لأن هذا من واجبات الدراسة، فلا غرو أن يكون الإيجاز هناك، والاستيعاب هنا. ومن النماذج التي أتتْ في الدراسة ولم تأت في الرسالة: التفرقة بين الفوز والنجاح، وقد انتهى إلى أن القرآن الكريم قد آثر كلمة الفوز في الاستعمال القرآني وأهمل كلمة النجاح وهجرها، وقد أرجع هذا إلى أن كلمة النجاح يكثُر استعمالها في كل الأمور، في الخير والشر، والجد واللهو، في كبير الأمور وصغيرها، عظيمها وحقيرها، شريفها ووضيعها، حتَّى أصابها الامتهان

بمرأى ومسمع، وهو قادر لو شاء على أن يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٤-٣٥)

(١) دراسة جديدة في إعجاز القرآن (١٧٦)

(٢) دراسة جديدة في إعجاز القرآن (١٧٧)

(٣) المرجع السابق (١٧٩)

والابتذال؛ لذا هجرها القرآن الكريم، بخلاف فاز، التي تدل على نيل المحبوب والسلامة من كل مكروه، وليس في المعاني المرادة منها ما فيه شائبة من شر، أو ما يضاد المنفعة الطيبة.(١)

(١) دراسة جديدة في إعجاز القرآن (٢٢٤)

المبحث الثاني

إعجاز الرسم العثماني (الإعْجَازُ الخَطِّيّ)

مدخل: عرَّف علماءُ القرآن الكريم الرسم العثماني بأنَّه: الوضع الذي ارتضاه الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن كان معه من الصحابة رضي الله عنهم، في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه.(١) وجمهور العلماء على أنَّ الرسم العثماني سنَّة متبعة ولا يقاس عليه.(٢)

وذهبوا إلى أنّه "يجب على كل من أراد كتابة مصحف أن يكتبه على مقتضى الرسم العثماني، فإن كتبه على مقتضى الرسم القياسي، فقد خالف الأحاديث الواردة في طلب الاقتداء بالصحابة، وخالف ما أجمع عليه الصحابة، وخرق إجماع من بعدهم من علماء الأمة. قال أشهب: سُئل مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا ... إلا على الكتابة الأولى. رواه الداني في المقنع، وقال الإمام أحمد بن حنبل: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء، أو ألف، أو غير ذلك.

وقد نقل الجعبري، وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع مرسوم المصحف العثماني، وقال في المقنع بعد أن ذكر جواب مالك المتقدم، ولا مخالف

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٣٦٩/١) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه : الطبعة الثالثة.

(٢) ينظر تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني (٨/ ٢٧٥) دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

لمالك من علماء الأمة".[1] ومن أشهر المؤلفات في هذا الصدد، قديما كتاب المصاحف، للإمام أبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني، المتوفى سنة (٣١٦هـ) والمقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، المتوفى سنة (٤٤٤هـ) أما حديثا فكتاب (رسم المصحف ونقطه) للدكتور / عبد الحي حسين الفرماوي[2]. و(رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية)، للدكتور / غانم قدوري الحمد . [3]

وممَّا يختصُّ بالرسم العثماني على سبيل المثال: حذف الألف من أداة النداء كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] وتحذف الياء من كل منقوص منون رفعا وجرا نحو ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ﴾ .

ومن هذه الكلمات ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، ﴿وَاتَّقُونِ﴾، ﴿وَخَافُونِ﴾، ﴿فَارْهَبُونِ﴾، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾، ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ إلا ما استثني.

وتحذف الواو: إذا وقعت مع واو أخرى في نحو: ﴿لا يَسْتَوُونَ﴾، ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾.

وتحذف اللام: إذا كانت مدغمة في مثلها نحو: الليل والذي إلا ما استثني."[4]

هل في الرسم العثماني إعجازٌ؟

المسألة فيها خلاف كبير بين العلماء، فمن العلماء من رفض وجود أي سرٍّ في رسم الآيات، من هؤلاء أبو يحيى الفرَّاء (ت:٢٠٧هـ)، فإنَّه قد أخذ على

(١) دليل الحيران على مورد الظمآن (٦٤) المارغني التونسي المالكي (المتوفى: ١٣٤٩هـ) دار الحديث- القاهرة.

(٢) طبع بدار نور المكتبات، جدة . السعودية عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) طبع بدار عمار للنشر والتوزيع، عمان . الأردن عام ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٤) يراجع مناهل العرفان في علوم القرآن (١/٣٧٠)

الصحابة عدم استمرارهم في الكتابة على طريقة واحدة، قال في قوله تعالى: وقوله: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] الإيضاع: السير بين القوم. وكتبت» بلام ألف وألف بعد ذَلِكَ، ولم يكتب فِي القرآن لها نظير. وذلك أنهم لا يكادونَ يستمرونَ فِي الكتاب عَلَى جهة واحدة ألا ترى أنهم كتبوا ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٥] بغير ياء، ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ [يونس: ١٠١] بالياء، وهو من سوء هجاء الأوّلين. وَلا أَوْضَعُوا مجتمع عَلَيْهِ فِي المصاحف.

وأمّا قوله: ﴿أَوْ لا أَذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل:٢١] فقد كتبت بالألف وبغير الألف. وقد كَانَ ينبغي للألف أن تُحذف من كله لأنَّها لام زيدت عَلَى ألف كقوله: لأخوكَ خيرٌ من أبيك، ألا ترى أَنَّهُ لا ينبغي أن تكتب بألف بعد لام ألف."[١]

والملاحظ أنَّ الفراء قد حاكم الصحابة بما استحدث بعدهم وليس هذا منه بإنصاف، فهو "قد وضع للخطِّ معياراً، وهو ما يعرفه من الهجاء الذي في عصره، فحاكَمَ به هجاء الصحابة رضي الله عنهم، وهنا وقع في الغلط عليهم بنسب هجائهم إلى السوء، وليس الأمر كذلك، بل هذا من اصطلاحاتهم المعروفة عندهم، والتي لا يُثرَّب عليهم فيها."[٢]

وتبعه في هذا ابنُ قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ) فقد صرَّح بخطأ الكُتَّاب في بعض ما كتبوا، قال: "وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطا من الكاتب، كما ذكرت عائشة رضي الله عنها. فإنْ كانت على مذاهب النحويين فليس هاهنا لحن بحمد الله. وإن كانت

(١) معاني القرآن للفراء (٤٣٩/١) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي – دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الطبعة: الأولى .

(٢) المحرر في علوم القرآن (٢٢٥) د: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار– مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.

خطأ في الكتاب، فليس على رسوله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، جناية الكاتب في الخط."[1]

وعبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ) زعم وقوع الغلط من الصحابة حيث رسموا المصاحف، وذهب إلى أنَّهم غير مُحْكِمين لصناعة الخط، وأنَّ الخط ليس بكمال في حقهم، قال: "وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصّحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخطّ عند أهلها. ثمّ اقتفى التّابعون من السّلف رسمهم فيها تبرّكا بما رسمه أصحاب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وخير الخلق من بعده، المتلقّون لوحيه من كتاب الله وكلامه. كما يقتفي لهذا العهد خطّ وليّ أو عالم تبرّكا، ويتبع رسمه خطأ أو صوابا. وأين نسبة ذلك من الصّحابة فيما كتبوه فاتّبع ذلك، وأثبت رسما ونبّه العلماء بالرّسم على مواضعه. ولا تلتفتنّ في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفّلين من أنّهم كانوا محكمين لصناعة الخطّ وأنّ ما يتخيّل، من مخالفة خطوطهم لأصول الرّسم ليس كما يتخيّل بل لكلّها وجه. يقولون في مثل زيادة الألف في لا ﴿لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ [2] إنّه تنبيه على أنّ الذّبح لم يقع وفي زيادة الياء في﴿بِأَيْيدٍ﴾ [3] إنَّه تنبيه على كمال القدرة الرّبّانيّة وأمثال ذلك ممَّا لا أصل له إلّا التّحكّم المحض. وما حملهم على ذلك إلّا اعتقادهم أنّ في ذلك تنزيها للصّحابة عن توهّم النّقص في قلّة إجادة الخطّ.

(١) تأويل مشكل القرآن (٤١) تحقيق: إبراهيم شمس الدين– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢١]

(٣) يقصد قوله تعالى:﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] .

وحسبوا أنّ الخطّ كمال فنزّهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح.

واعلم أنّ الخطّ ليس بكمال في حقّهم إذ الخطّ من جملة الصّنائع المدنيّة المعاشيّة كما رأيته فيما مرّ. والكمال في الصّنائع إضافيّ وليس بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على الذّات في الدّين ولا في الخلال وإنّما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتّعاون عليه لأجل دلالته على ما في النّفوس.(١)

وما ذهب إليه ابن خلدون لا يُسلَّم له به، ولا يخفى على القارئ الحكيم غلوُّ ابن خلدون فيما ذهب إليه، وأنَّه يقف أمام جمهور الأمَّة في هذه المسألة دون دليلٍ يستند عليه من كتاب أو سُنَّة، ولو لم يكن لما كتبه الصحابة مثل هذه المنزلة العليا لما تلقته الأمة بالقبول، وتمسكت به، بل شرطت الأمة ألا تقبل قراءة إلا إذا وافقت خط المصحف، وقد تحدث شيخُ العربية الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) في هذه المسألة فقال:" وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف."(٢)

وقد يكون من بعض أسرار هذا الرسم الخاص بالمصحف، قابليته لتعدد القراءات في الموضع الواحد، وقد ذكر شرف الدين الطيبي (ت:٧٤٣هـ) قصة عن ابن الأنباري قال: قال الأنباري: كان أحد النحاة المشهورين، والأدباء المذكورين. ألف كتابه في ((الهجاء))، وهو من أحسنها. ووجدت في كتاب صنف في هذا الفن: اعلم أن كتابة المصحف مثبتة بخط واحد على الأحرف السبعة، وهي تنقسم إلى ما

(١) تاريخ ابن خلدون (١/٥٢٦- ٥٢٧) المحقق: خليل شحادة- دار الفكر، بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

(٢) الكشاف (١/ ٢٧) .

يوافق القياس، وإلى ما لا يوافقه، بل يتلقى بالقبول؛ لأنها سنة واجبة الاتباع؛ لأنه رسم زيد بن ثابت رضي الله عنه، أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه، علم من هذا العلم ما لم يعلم غيره، وما خالفه إنما خالف لحكمة بليغة ومعرفة خفية؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] فإنَّه كتب بلا ألف، ولا يجوز إثباتها؛ لأنَّ إثباتها يؤدي إلى مخالفة من قرأ بغير ألف، وكذلك قوله تعالى: ﴿فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٥] كتبت بالياء من غير ألف، إذ لو أثبتت لبطلت قراءة من قرأ بالوحدة، ولو كتبت بالهاء لبطلت قراءة من قرأ بالجمع.(١)

قد يلتمس صواب قوله في وجود بعض التحكمات في توجيه بعضهم للفروق بين الرسم العثماني وغيره، ولكن لا ينسحب هذا الحكم على الجميع.

يقول الأستاذ الدكتور: محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ): "ولا ينبغي أن تنخدع بما في كلام العلامة ابن خلدون -رحمه الله- من الجدية والصراحة والتحليل، فمع أنه مصيب في قوله: إن أكثر الأوجه التي سيقت في تعليل مخالفة الرسم في بعض الكلمات -المبنية على أساس اختلاف المعاني خاصة- لا أصل له إلّا التحكُّم المحض، ومع صدق الواقع فيما كان من بعض العلماء من مذاهب تنزيهًا للصحابة من أن ينسب إليهم الخطأ في الرسم، فإنه غير مصيب -إطلاقًا- في تصوره لحالة الكتابة العربية لأول الإسلام، فلا يعني ضعف القدرة على إجادة

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٢/ ٢٨) جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم- الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .

كتابة الحروف والتفنن في رسمها في حواضر الحجاز -إن صحَّ ما ذهب إليه في ذلك."[1]

ومن العلماء من ذهب إلى أنَّ رسم القرآن معجز، يقول الشَّيْخ العارفُ عبد العزيز الدَّبَّاغ (ت١١٣٢هـ) قال: "ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن العزيز ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الأحرف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول. وما كانت العرب في جاهليتها ولا أهل الإيمان من سائر الأمم في أديانهم يعرفون ذلك، ولا يهتدون بعقولهم إلى شيء منه، وهو سر من أسراره خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، فلا يوجد شبه ذلك الرسم لا في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في غيرهما من الكتب السماوية. وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضا معجز."[2]

وأوَّل مصنف وُضِع في إعجاز الرسم العثماني هو مصنف شهاب الدين ابن البناء المراكشي (ت: ٧٢١هـ) في كتابه: (عنوان الدليل المرسوم من خط التنزيل) وكانت له قسمة عقلية في استنباط أسرار الرسم العثماني تتلخص في: للمعاني اعتباران :

. اعتبار من باب الوجود بالفعل.

. اعتبار من باب الإدراك والعلم.

وينقسم باب الوجود إلى قسمين : . ما يدرك ، . ومالا يدرك.

وينقسم باب ما يدرك إلى قسمين :

(١) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (١٣٥) دار المنار- الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

(٢) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز - أحمد بن المبارك- (٨٧) . دار الكتب العلمية .

. الظاهر، ويمسى الملك . – الباطن، ويسمى الملكوت.

وينقسم ما لا يدرك إلى قسمين :

. ما ليس من شأنه أن يدرك، ويسمى العزة.

. ما يمكن إدراكه ولم ندركه، ويسمى الجبروت.

وهذه الأصناف منها ما يدرك بالضرورة وعن طريق الأخبار، يعني الرواية، ومنها مالا يتوصل إليه إلا عن طريق الاعتبار.(١). ثمَّ قال:" فإذا بطنت حروف في الخط ولم تكتب فلمعنى باطن في الوجود عن الإدراك، فإذا ظهرت فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك. كما إذا وصلت فلمعنى موصول، وإذا تغيرت بضرب من التغير دلَّت على تغير في المعنى في الوجود يظهر في الإدراك بالتدبر على ما نبينه بعد إن شاء الله."(٢)

وكان يغلِّب عليه أحيانا الإشارات الغامضة، وذلك مثل تعليله لحذف ألف الأسماء الأعجمية كإبراهيم وإسماعيل؛ لأنَّها زائدة لمعنى غير ظاهر في اللسان العربي؛ لأنَّ العجمي بالنسبة إلى العربي باطن خفي لا ظهور له، قال:

"وكذلك ألف الأسماء الأعجمية مثل إبراهيم، وإسماعيل؛ لأنَّها زائدة لمعنى غير ظاهر في اللسان العربي؛ لأنَّ العجمي بالنسبة إلى العربي باطن خفيّ، لا ظهور له فحذف ألفه."(٣)

(١) ينظر: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل : (٣٣، ٣٤).حققته وقدمته د: هند شلبي . دار الغرب الإسلامي . بيروت لبنان . ط أولى –١٩٩٠م

(٢) ينظر: المرجع السابق(٣٤)

(٣) المرجع السابق (٦٩)

وعلى الرغم من اجتهاده في هذا التعليل الذي لم يذكر فيه السر إلا أنه غير مطرد في جميع الأعلام الأعجمية التي وردت في الذكر الحكيم، فعلى سبيل المثال أثبتت الألف في طالوت وجالوت.

وقد اختار الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله أن يكون في الفريق الذي يلتمس الأسرار والدقائق في رسم الكلمات القرآنية، وليس من الفريق الذي يجنح إلى الإشارات الغامضة، والمعاني المتكلفة، وقد كتب خمسا وعشرين مقالة، في مجلة منبر الإسلام الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . وزارة الأوقاف . جمهورية مصر العربية، عنوان هذه المقالات: (خصوصيات الرسم العثماني..لطائف وأسرار.) وهذه المقالات كانت مادة إذاعية للدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله في القرآن الكريم . جمهورية مصر العربية. برنامج (لغة القرآن) إعداد وتقديم أ: أحمد عبد الظاهر. في مطلع القرن الواحد والعشرين ميلاديًا.

وقد بيَّن رحمه الله ما المراد بهذه الخصوصيات، وذهب إلى أنَّ هذه الخصوصيات وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وأن هذا الإعجاز اسمه: الإعجاز الخَطِّي، وأنَّ "هذه الخصوصيات الحاصلة في بنية الكلمة أمور تدعو إلى الدهشة والعجب، حتَّى لو أنَّنا أسميناها وجهاً جديداً من وجوه الإعجاز البياني هو " الإعجاز الخَطِّي " لكان هذا اسماً على مسمى حقيقي، لا افتراضي ولا ادعائي. "[1]

ومن المستقر عنده "أنه منهج مبتكر في رسم المصحف لا وجود له إلا فيه. هدى الله إليه كتبة الوحي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان القرآن ينزل؛ لأن هذا الرسم مأخوذ عن الوثائق النبوية التي كانت محفوظة في بيته يوم

(١) مجلة منبر الإسلام . السنة (٥٩)، العدد (٩) رمضان ١٤٢١هـ . ديسمبر ٢٠٠٠م، ص ٢٩-٣٠.

انتقل إلى الرفيق الأعلى، وهي التي نسخها عثمان بن عفان، رضي الله عنه في المصحف الإمام، وعنه صدرت كل المصاحف.(١)

وهذه المقالات بدأها الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله بتمهيد تحدَّث فيه عن ماهية الرسم العثماني، والفرق بينه وبين الرسم الإملائي، والذي سمَّاه (الرَّسْم العام) وقسم خصوصيات الخط العثماني قسمين، قسم يتعلق بعلامات الوقف، ويريد بها الرموز الموضوعة فوق الكلمات مثل (ج) للوقف الجائز، و(م) للوقف اللازم، و(صلي) إلى أن جواز الوقف والوصل والوصل أولى، و(قلي) لجواز الوقف والوصل، والوقف أولى، والثلاث نقاط والتي تشير إلى تعانق الوقف، وأن القارئ إذا وقف على إحدى الكلمتين فلا يجوز له أن يقف على الكلمة الأخرى، و(لا) للنهي عن الوقف. وهذا القسم خارجٌ عن دراسته، أمَّا القسم الداخل في دراسته، والمرادُ به تلك الخصوصيات الحاصلة في بنية الكلمة من حذف وزيادة، ووصل وفصل، وقبض وبسط، والخصوصيات الحاصلة في بنية الكلمة الناتجة من إحلال حرف محل حرف في آخر.

دوافع الشَّيْخ لدراسة هذا اللون من الإعجاز:

بيَّن رحمه الله أن الدافع الذي دفعه إلى دراسة الإعجاز الخَطِّي هو أمران:

الأول: عدم نيل هذا اللون من الإعجاز حظه في الدراسة، وفي الذيوع والانتشار بين الناس.

الثاني: أنه كان يقصد بهذه الدراسة التصدي لدعوة انتشرت حينها كانت تدعو إلى إعادة كتابة المصحف الشريف بالخط الإملائي الحديث، تيسيرًا على الناس، وتسهيلا لقراءة القرآن على كل الناس، معتقدين أو ظانين أن الكلمات

(١) مجلة منبر الإسلام ـ السنة (٦١)، العدد (٦) جمادي الآخر ١٤٢٣هـ ـ ص ١٥.

القرآنية المكتوبة بغير الخط الإملائي العام تخلو من الدلالة على أي معنى من المعاني.(١)

من نماذج للإعجاز الخَطِّي

النموذج الأول ـ حذف الياء من الرسم العثماني دون الرسم العام:

في هذا النموذج عالج الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ حذف الياء من الرسم العثماني، وعدم حذفها في الرسم العام، وذكر مواضع وردت في الذكر الحكيم أتت بحذف الياء من ﴿ربِّ﴾ إذا أضيفت إلى ضمير المتكلم المفرد سواء كان مذكرا في المعنى أو أنثى، وقد رصد خمسة عشر موضعا، وردت كلمة ﴿ربِّ﴾ محذوفة الياء المضاف إليه، من هذه المواضع، أول هذه المواطن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [البقرة: ١٢٦] وآخر هذه المواضع قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَـؤُلَاءِ قَـوْمٌ لَا يُؤْمِنُـونَ﴾ [الزخـرف: ٨٨] وإن كـان هـذا لا ينـدرج تحـت خصوصيات الرسم العثماني، ولكنه ذكره تعميما للفائدة، قال رحمه الله:

"هذه خمسة عشر موضعًا وردت فيها كلمة ﴿ربِّ﴾ محذوفة الياء المضاف إليه، وتركيز النظر، والتأمل يسفر عن الخصائص النظمية والبيانية الآتية:

- إنَّ كلمة ﴿ربِّ﴾ فيها جاءت منادى.
- إنَّها جاءت مضافة إلى ياء المتكلم المفرد، مذكرا ومؤنثا، والغالب هو التذكير.
- محذوفٌ منها حرف النداء (يا)
- إنَّ موضعين منها ذكر فيهما حرف النداء (يا)
- إنَّها مستعملة في الدعاء إلا نادرًا.

(١) ينظر خصوصيات الرسم العثماني ـ مجلة منبر الإسلام ص ٢٩-٣٠ العدد التاسع رمضان ١٤٢٩هـ

– إنَّها أعني كلمة رب المراد منها الله عز وجل.

أمَّا حذف ياء النداء فلا يعد من خصوصيات الرسم العثماني، وإنّما له دواع بلاغية، سنشير إليها تعميما للفائدة... أمَّا السَّرُ الذي رمز إليه بحذف الياء المضاف إليه في المواضع المذكورة قبلا، وفي المواضع التي لم نذكرها فهو التخفيف والتيسير؛ لأنَّ كلمة رب تستعمل كثيرا في حياة المسلم في الدعاء، وفي غير الدعاء، ولما كان كل حذف لا بُدَّ أن يكون في الكلام دليل يدل عليه كانت الكسرة تحت الباء هي الدليل على الياء المحذوف؛ لأنَّ الكسرة من فصيلة الياء في النطق. وقد تقدَّم مرات أنَّ من قواعدهم في الحذف الرمز إلى أنَّ المحذوف منه أمر غيبي، وهذا وارد لأنَّ رَبِّ من حقائق الإيمان الغيبية، أمَّا يطلق عليه في الفكر الفلسفي(ما وراء الطبيعة) .. أما حذف (يَا) النداء معه.. فله معنيان متلازمان:

الأول : الرمز إلى أن المنادى الذات العلية، قريب من الداعي المنادي، وأداة النداء(يا) ينادى بها البعيد، والله ليس بعيدا، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]

الثاني: هو التخفيف والتيسير؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ ﴾ [الأعراف:١٥١] أخفُّ في الأداء من﴿ يَا رَبِّي﴾.

أمَّا الموضعان اللذان ذكر فيهما يا النداء، وهما: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠] ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨] فإنَّ هاتين الآيتين تحكيان قول صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، والموضعان وارادن في مقام الشكوى من قومه. ففي آية الفرقان يشكو " قومه إلى ربه لهجرهم القرآن، وفي آية الزخرف يشكوهم إلى ربه لإعراضهم عن

الإيمان مع حرصه الشديد على إيمانهم، وحب الخير لهم. ومقام الشكوى مقام إطناب لا مقام إيجاز كما هو معروف في البلاغة."[1]

نموذج آخر: (في الحذف) ذكر أن الياء تحذف من كلمة (واد) في المواضع الآتية:

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]

﴿حتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:١٥-١٦] .

وعلَّل لهذا الحذف قائلا: "الياء المحذوف من " الواد " في الياءات الأربع ليست اسماً ولا ضميراً، وإنما هي أصل من أصول الكلمة، وأسباب الحذف والأسرار اللطيفة التي كان من أجلها الحذف يختلف من موضع لآخر.

ففي " الواد المقدس " حذف الياء للتنوين برفعة مكانة هذا الواد، ولسرعة إجراء الوصف بالتقديس عليه.

وكذلك " الواد الأيمن " وقد وصفه الله بما يبين فضله وعلو مكانته، وقد رمز إلى هذا الفضل بحذف الياء، ثم وصف الواد بالأيمن، ثم البقعة المباركة.

(١) خصوصيات الرسم العثماني. مجلة منبر الإسلام . العدد (٩)، رمضان١٤٢٢هـ- نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠١م ص(١٤)

أما آية النمل " واد النمل " فإن الياء حذف فيها من كلمة واد رمزاً إلى معنى آخر مغاير للمعنى الذي تقدم في حذف الياء من " واد " في الآيات الثلاثة الآنفة الذكر.

ذلك المعنى هو خفاء الوادي، وخفاء النمل المقيم فيه، وقد تقدم أنَّ حذفه في بعض الأفعال كان رمزاً على معنى "الغيبية" في مثل: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ [القمر:٦]

وهذا المعنى قد تحقق في " واد النمل " ؛ لأنَّ سليمان وجنوده لم يكونوا يعرفون هذا الوادي وهم يبدأون السير فيه، ولذلك قالت النملة ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] فنفَتْ عنهم الشعور بالواد، وبما فيه من النمل، والشعور هو أول درجات الإحساس.

وهكذا كان الحذف في الآيات الأربع رمزًا على معنى لطيف، وسر طريف، وقد توفرت في المواضع الأربعة شروط الحذف البياني البليغ.

فمقتضى الحذف هو الدلالة على المعاني اللطيفة التي سبقت الإشارة إليها، ودليل الحذف هو الكسرة تحت الدال في جميع المواضع التي حذف فيها الياء في الأفعال والأسماء[1].

(١) خصوصيات الرسم العثماني– مجلة منبر الإسلام–السنة (٦٠)، العدد (٩)، المقالة (١٢) رمضان١٤٢٢هـ– نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠١م ، ص ١٤.

نموذج الزيادة في الإعجاز الخَطِّي

زيادة الألف في الفعل " يَايْأَسُ " وذلك عندما تحدث عن قوله تعالى﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَايْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ذكر أن الفعل يَايْأَسُ تكرر في الآية الكريمة مرتين، وفي كلِّ مرة جاءت فيه زيادة الألف بعد الياء الأولى وقبل الياء الثانية، وعلامة زيادة الألف أنه كتب ولم ينطق ؛ لأنَّ الذي يظهر في النطق هو الياءان متتابعين في النطق بلا فاصل، أمَّا في الرسم فإن حرف الألف فصل بينهما، كما ترى ذلك واضحاً في رسم الفعلين.

أمَّا من حيث المعنى فإنَّ لحرف الألف المزيد سراً لطيفاً نص عليه العلماء، وبيان ذلك أن اليأس مرحلة نفسية لا يكون حدوثها ابتداء بلا مقدمات، وإنما يسبقها مرحلة أخرى، والعلاقة بين المرحلتين علاقة السبب بالمسبب أو علاقة المسبب بالسبب.

اليأس لابد أن يسبقه رجاء وطول ترقب وانتظار، ومع طول الترقب والانتظار لا بُدَّ من الصبر، والصبر من الأمور الشاقة على النفس، وبخاصة إذا كان طويلاً.

ومهما كان الأمر فإنَّ الصبر أخف وقعاً على النفس من اليأس؛ لأن الصبر يصاحبه أمل في الحصول على المطلوب، أمَّا اليأس فهو قطع الرجاء مع خيبة الأمل.

لذلك كانت زيادة حرف الألف إشارة إلى ثقل اليأس وشدة آثاره على النفوس.

ومن شأن اليأس أن يدعو إلى توقف السعي والاستسلام إلى الأمر الواقع.

فإذا عدنا إلى قول يعقوب إلى بنيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَايْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]

نجد هذا الرسول الكريم يريد أن يثبت بنيه على الصبر والسعي وحسن الظن في الله، ونهاهم عن الإيئَاسِ؛ لأنَّه سوف يثبط هممهم، ويصيب حركتهم بالشلل التام. ومن أجل هذه اللطيفة كانت زيادة الألف رمزاً للدلالة على هذا المعنى"[1].

(١)خصوصيات الرسم العثماني لطائف وأسرار – منبر الإسلام ـ السنة (٦٠)، العدد (١٠)، شوال ١٤٢٢هـ – ديسمبر ٢٠٠١م، يناير ٢٠٠٢م، ص ٥٩.

الفصل الثانـي

من جهود الشّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ في تجديد متن البلاغة

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: ما خالف فيه البلاغيين (المبالغة البديعية.. أنموذجًا)

المبحث الثاني: قضية المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين الإجازة والمنع

المبحث الأول

ما خالف فيه البلاغيين (المبالغة البديعية.. أنموذجاً)

كان للشيخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ موقف من المبالغة البديعية خالف فيه مدرسة التلخيص، وقد اختلف معهم في حملهم لبعض آيات القرآن الكريم على حدِّ المبالغة البديعية، المدرجة تحت (الغلو) ومن حقِّ كلام الله أن يحمل على ما يليق به من حق البلاغة، وكما قال جار الله: "من حقِّ مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدّي سليما من القادح."(١)

وقد أقام الشَّيْخ رأيه على أنَّ المبالغة البديعية قائمةٌ على الادعاء، وهذا الادعاء الذي يقوم به المتكلم يخالف الواقع، ومخالفة الواقع تجعل هذا الصبغ البديعي صالحا لكلام البشر، ومِمَّا ينزَّه عنه كلام ربِّ البشر، وقد بدأ الشَّيْخ بذكر تعريف مدرسة التلخيص للمبالغة فقال: عرَّفها الخطيب في الإيضاح، وتبعه شرَّاح التلخيص وغيرهم، فقال:(المبالغة أن يُدَّعَى لوصفٍ بلوغه في الشدة والضعف حدًّا مستحيلاً أو مستبعداً). (٢)

وعقَّب الشَّيْخ على هذا التعريف فقال: " ونظرة سريعة في هذا التعريف تريك أن ما اطلق عليه الباحثون وصف المبالغة إنما هو قائمٌ على ((الادعاء)) وليس لمضمونه حظ من الواقع. فإن كان المراد منها ((الشدة)) فإن المتكلم بها يضيف إلى الشدة الواقع فعلا شدة أخرى لا وجود لها.وإن كان المراد بها ((الضعف)) فإنَّ المتكلم بها يضيف إلى ذلك الضعف ضعفا لا وجود له، فمدارُ الأمر قائمٌ على مجرد

(١) الكشاف (٦٨/١) .

(٢) الإيضاح (٤/ ٦١٢) مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

((الادعاء)). وهذا وحده كافٍ بتنحية المبالغة عن البيان القرآني؛ لأنَّه تصويرٌ أمينٌ للواقع لا زيادة فيه ولا نقصان.[١]

ما المأخذ الذي أخذه الشَّيْخ أ.د عبد العظيم المُطْعَنِيّ على مَن قعَّد قواعد البلاغة:

أخذ الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ على علماء البلاغة الذين قعّدوا قواعدها أنَّهم عندما قعدوا قواعد البلاغة استمدوها من كلام العرب ثم بعد ذلك راحوا يطبقون قواعدهم على القرآن الكريم، وهذا قد أوقعهم في مآزق كان بإمكانهم تجنبها إذا هم استقوا القاعدة من القرآن الكريم، قال:

" العلماء قد استمدوا ضابط المبالغة وأقسامها، وضابط كل منها من النصوص المأثورة في الأدب العربي جاهلية وإسلامية، وأنَّ تلك النصوص أمدتهم باللبنات التي أقاموا عليها صرح قواعدهم كلها في شأن المبالغة، وغيرها من الفنون البلاغية. وبعد أن فرغوا من رسم الهيكل وبنائه والتمثيل عليه ولّوا وجوههم شطر القرآن الكريم. نقول . والأسفُ يملأ نفوسنا . أنَّهم حين استشهدوا على المبالغة من القرآن الحكيم لم يستشهدوا منه عليها إلا على النوع المرفوض عندهم . الغلو . وهم إن التمسوا وجوهًا لتبرئة النص القرآني من الرفض؛ فإنهم وقعوا في مآزق خطيرة لم يحمدها لهم ذو الفكر السليم.[٢]

لماذا رفض الشَّيْخ المُطْعَنِيّ كلام البلاغيين في هذه المسألة؟

مستند رفض أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ لتطبيق هذا الصبغ البديعي على آي الذكر الحكيم قائمٌ على اعتماد المبالغة البديعية على الادعاء، و فكرةُ الادعاء حاضرةٌ بقوَّةٍ في الدرس البلاغي، في علومه الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وهو

(١) من قضايا البلاغة والنقد (١٣٤-١٣٥)

(٢) من قضايا البلاغة والنقد (١٤٨)

في كل علم من علوم البلاغة لـه طابعه الذي يميزه عن غيره، فالقصر بـه ادعاء، والاستعارة قائمة على الادعاء أيضا، وحسن التعليل والمبالغة من الأصباغ البديعية القائمة على الادعاء.

وقد يعترض معترضٌ على رأي الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ في رفضه لاستشهاد البلاغيين للغلو المقبول في المبالغة بشواهد قرآنية، لأنَّ الاستعارة تقوم على الادعاء، وإن كانت الاستعارة واقعة في بيان الوحي، وهي مبنية على الادعاء، فلم ترفض المبالغة البديعية وهي قائمةٌ على الادعاء أيضا، والتفرقة بين المتساويين بدون دليل تحكم، والتحكم مرفوض؟

الادِّعاءُ الذي في الاستعارة غير الادعاء في المبالغة البديعية:

مما هو بيِّن أنَّ الادِّعاءَ الذي في الاستعارة لا يتعارض مع البيان القرآني العليِّ، فهو يُكسب الاستعارةَ المبالغةَ المطلوبة لتصوير المعنى المجازي.

ومن الجديرِ بالذكر أنَّ ابن يعقوب المغربي قد ذكر في مواهبه: "وينبغي لمن مثَّل بالآية أن يقول بدل قوله يقربه إلى الصحة لا يظهر معه الامتناع تأدبًا."[(١)] وتبعه في ذلك محمد بن عرفة الدسوقي (ت:١٢٣٣هـ)، فقال: "قيل: إنَّ المصنف لما مثَّل بالآية كان ينبغي له أن يقول منها ما أدخل عليه ما يخرجه عن الامتناع بدل قوله ما يقربه إلى الصحة تأدبا، إذ صحة كلام الله لا مزيد عليها، فكيف يقال فيه ما يقربه إلى الصحة."[(٢)]

ومِمَّا هو معلوم أن غايةَ البلاغيين الوقوف على الفنون البديعية في كلام العرب، ووضعُ ألقابٍ ومصطلحات لهذه الفنون البديعية، وبيان خصائصها، وقد بذل البلاغيون غاية جهدهم في مجال تحليل هذه الفنون البديعية، ولكن حصل اضطراب

(١) مواهب الفتاح (٣٦٢/٤)

(٢) حاشية الدسوقي (٣٦٢/٤)

عند تطبيق هذه المصطلحات البلاغية، فبعض هذه المصطلحات لا تتناسب وجلال القرآن الكريم، من هذا المصطلحات: المبالغة البديعية التي شاعت في كلام العرب، ولكن لا وجود لها في الذكر الحكيم، وقد يكون صنيع البلاغيين في الغلو مقبولا لو لم يذكروا له شواهد من الذكر الحكيم. أمَّا تطبيق هذا على الذكر الحكيم فهو تطبيق مرفوض.

والتأدب مع القرآن الكريم واجبٌ، وقد رفض أهل العلم مصطلحات في اسمها توهم سوء أدب مع القرآن الكريم، فعدلوا عن التسمية الموهمة لسوء الأدب لأسماء أخرى راعوا فيها الأدب مع القرآن الكريم، من ذلك، مصطلح (تجاهل العارف)[1] كان أوَّل من ذكره ابن المعتز (ت:٢٩٦هـ) فقال:"ومنها تجاهل العارف؛ كقول زهير "من الوافر":

وَمـــا أَدري وَسَـــوفَ إِخـــالُ أَدري ∴ أَقَـــومٌ آلُ حِصـــنٍ أَم نِســـاءُ[2]

وقد رفض أبو يعقوب السَّكَّاكي (ت:٦٢٦هـ) هذه التسمية لأنه سوف يورد شاهدًا من الذكر الحكيم لهذا المصطلح، فعدل عن التسمية الموهمة لأخرى تناسب الأدب القرآني،فقال: "ومنه: سوق المعلوم مساق غيره، ولا أحب تسميته بالتجاهل ... وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:

(١) عرَّفه أبو هلال العسكري بقوله: تجاهل العارف ومزج الشك باليقين: هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيدا. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر (٣٩٦) تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العنصرية – بيروت. ١٤١٩ هـ

(٢) البديع في البديع لابن المعتز (١٥٧) دار الجيل –الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، والشاهد هو بيت لزهير بن أبي سلمى من ديوانه: شعر زهير بن أبي سلمى صنعة الأعلم الشنتمري (١٣٦) . تحقيق: فخر الدين قباوة . دار الآفاق الجديدة . بيروت.ط ثالثة : ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

٢٤][1] وهذا الصنيع من السَّكَّاكي صنيع مشكور؛ لأنه جمع مع كمال العلم جمال الأدب، والخطيبُ قد ذكر تسمية ابن المعتز وتسمية السَّكَّاكي، فقال: "ومنه: تجاهل العارف، وهو كما سماه السَّكَّاكي : "سوق المعلوم مساق غيره لنكتة" . [2]

الشَّيْخ المُطْعَنِيّ يرفض كلام الخطيب القزويني:

هذا الموقف الذي اتخذه أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ من رفض تخريج بعض آيات الذكر الحكيم على المبالغة البديعية جعله يرفض جعل الخطيب القزويني آية سورة النور ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور:٣٥] من قبيل الغلو في المبالغة البديعية، قال الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ: "إنَّ أول ما يفجؤك من تطبيقهم قواعد المبالغة على البيان القرآني ما وصفوا به قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور:٣٥] فالخطيب القزويني يدرج هذه العبارة في سلك المبالغة المسمَّاة عندهم غلوًا، ثمَّ تابعه شرَّاح التلخيص في هذا العمل، وهم إنْ عدُّوه من الغلو المقبول لاشتماله على كلمة (يَكَادُ) حسب قواعدهم، فإنهم أساءوا إلى النص الحكيم من جهتين:

الأولى: حيث أطلقوا عليه وصف الغلو، وهو ادعاء ما ليس بواقعٍ واقعًا، وهذا تجرؤ غير محمود على كلام الله الحكيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الثانية: حيث فسَّروا سبب قبوله، فقالوا: إنَّ المبالغة فيه قد اقترنت بما يقربها من الصحَّة، وهو لفظ يكاد، ومعنى هذا أنَّ العبارة باطلة في الأصل، ولفظ يكاد يقربها نوعًا من الصحة. فهل بعد ذلك تجرؤ أشنع من هذا على كتاب الله

(١) مفتاح العلوم (٤٢٧-٤٢٨) تحقيق: نعيم زرزور- دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

(٢) الإيضاح (٦٣٠/٤)

المصون، وقد أدرك بعض الشُّرَّاح شناعة هذا القول، فعلَّق عليه قائلا: كان ينبغي أن يقول: أدخل عليه ما يخرجه عن الامتناع تأدبًا، إذ صحَّة كلام الله لا مزيد عليها."

وهذا استدراكٌ واجب، ولكنه عمل واحد منهم، وبقى الآخرون مُصرِّين على تخريجهم. والنصُّ الحكيم فوق ما زعموا، فالمراد كما يُفْهَمُ من السياق وصف الزيت بالصفاء والنقاء حتَّى أنَّه قارب درجة الإضاءة وإن لم يكن مضيئًا حقيقة، وإنَّما فيه البريق واللمعان ... إنَّ الغلوَّ والإفراط أن يُقالَ في هذه الآية: غلوًّا أو إفراطًا. (١)

(١) من قضايا البلاغة والنقد (١٥٠)

المبحث الثاني

قضية المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين الإجازة والمنع

مدخل: مسألةُ المجاز من المسائل التي أرهقت الأمة ردحًا من الزمن، ومازالت الأمة تعاني من إشكالية المجاز، وتأويل النصوص.

والتأويل الفاسد للنصوص، والإفراط في المجاز أو التفريط فيه من المسائل التي كثُر فيها الكلام، والأخْذُ والرد، والقبول الرفض، والإفراط والتفريط، وكثر الشقاق فيها.

وقد أدرك الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله هوْلَ الخلاف في هذه القضية الكبرى، فقام بتتبع جذور الخلاف منذ نشأة هذه القضية، ورَصَدَ مراحل تطور الخلاف منذ القرن الثاني الهجري حتَّى القرن الخامس عشر الهجري طالبا وأْد الخلاف وحسم مادة النزاع في هذه القضية الحيوية الكبرى حتَّى يلتئم شمل الأمة الإسلامية، وقد أبان الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ في مقدمة هذا الكتاب خطورة القضية التي يعالجها هذا الكتاب فقال: "هذا الكتاب يعالج قضية حيَويَّةً من قضايا الفكر الإسلامي والاعتقاد طالما اختلفت فيها المذاهب والآراء في الأوساط الفكرية والثقافية والدينية من أجيال الأمة الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري إلى الثامن.

وقد توارثت الأجيال اللاحقة هذا الخلاف حول المجاز: هل هو واقع في اللغة العربية بوجه عام، أم في القرآن الكريم بوجه خاص؟

فريقٌ يتبنَّى هذا المذهب، وفريق يمنع وقوعه في اللغة، وآخر يمنع وقوعه في القرآن الكريم وإن كان واقعا في اللغة، وآخرون يقولون وقوعه في القرآن الكريم واللغة معًا. واستمر هذا الخلاف طوال ثمانية قرون تقريباً حتَّى امتدت آثاره إلى

القرن الخامس عشر هجري، تأثيراً بما كتبه الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجريين.

واشتد الخلاف بين أجيال الأمة إلى درجة أنَّ بعضهم يكفر بعضا، وتصدعت الوحدة الفكرية والثقافية بين المسلمين بسبب: هل المجاز واقع في القرآن الكريم أم غير واقع؟[1]

وقد عالج الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ هذه القضية الخلافية في سفر عظيم عنوانه: (المجاز في اللغة و القرآن الكريم بين الإجازة والمنع عرض وتحليل ونقد) جاء في جزأين حواهما مجلد ضخم، وقد كان الفراغ من تأليفه في أغسطس عام ١٩٨٥م .

وقد قسمه ثلاثة أقسام كبار، وتحت كل قسم عدة مباحث:

القسم الأول: المجوزون وتحته عدة مباحث:

المبحث الأول: اللغويون والنحاة.

المبحث الثاني: الأدباء والنقاد.

المبحث الثالث: الإعجازيون و البلاغيون.

المبحث الرابع: المفسرون والمحدثون.

المبحث الخامس: الأصوليون والفقهاء.

القسم الثاني: المانعون، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المانعون قبل الإمام ابن تيمية.

المبحث الثاني: الإمام ابن تيمية.

المبحث الثالث: المانعون بعد الإمام ابن تيمية.

---

(١) المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع عرض وتحليل ونقد (١/أ) مكتبة وهبة . الطبعة الثانية – ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

أمَّا القسم الثالث فموقوف على الموازنات والترجيحات. [1]

الجديد في الطبعة الثانية:

جاءت طبعة هذا الكتاب الثانية في عام ٢٠٠٧م، وقد أضاف الشَّيْخ في طبعته الثانية محاضرته التي ألقاها بنادي مكة الثقافي عام ١٩٩٥م بعنوان: المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار.[2]

وقد قسَّم هذه المحاضرة أقساماً ثلاثة، الفصل الأول خصصه لمناقشة أقوال ابن تيمية، والفصل الثاني جعله لمناقشه الإمام ابن القيم.

أمَّا الفصل الثالث فقد ناقش فيه رسالة الإمام الشنقيطي، والتي عنوانها: منع جواز المجاز في المنزَّل للتعبد و الإعجاز.

وهناك جملة من الحقائق العلمية التي أثبتها في هذا الكتاب، نذكر منها ردَّه على من قال: إنَّ العرب قلَّدوا في المجاز اليونان فقال: " المجاز وليدٌ شرعي للفكر والثقافة العربية، ولنا على ذلك أكثر من دليل لا دليل واحد.

الأول: أن المجاز عرف عند العرب قبل أن تترجم كتب أرسطو التي يزعمون أن العرب استقوا فكرة المجاز منها، وعلى منوالها نسجوا.

فأبو زيد القرشي، والراجح أنَّه توفي عام ١٧٠هـ، ورد المصطلح عنده أكثر من مرة ومضافا إلى المعاني "مجاز المعاني " والذي يرجح لدى الباحث أنه كان يقصد التصوير المجازي الذي استقر مفهومه فيما بعد، أنه فيما استشهاده على ما أسماه مجاز المعاني أورد نصوصاً مأثورة، وحللها تحليلا مجازياً عُدَّ بعده في صور المجاز المختلف الأنواع: مجاز عقلي، ومرسل، واستعاري. ومن قبله أَوْمَأَ أبو عمرو بن العلاء إلى الاستعارة، ووفاة الجاحظ كانت عام ٢٥٥هـ .

---

(١) المجاز في اللغة والقرآن الكريم (١١/١)

(٢) المرجع السابق (١/ب)

الثاني: أنَّ التصوير المجازي نفسه مما يدرك ويعرف لدى كل الأمم و الشعوب من مجرد سماع الكلام وفهمه، ولا يتوقف إدراكه على أمة دون أمة .

الثالث: أنَّ العرب أو الرواد من العلماء و الدارسين وقفوا أمام النصوص التي فيها تصوير معان مقابلة للمعاني المألوفة أو الحقيقة، وتأملوها وأدركوا الفرق بينها وبين غيرها واجتهدوا أن يخصوها بأسماء و أوصاف مناسبة. (١)

منشأ الخلاف في قضية المجاز:

منشأ الخلاف في قضية المجاز كان البحث في أسماء الله وصفاته، وكان البحث في هذه القضية العقدية محدودا قبل ابن تيمية، وكان الأمر لا يتعدى أقوالا تتناقل هنا أو هناك حتَّى جاء ابن تيمية فردَّها جذعة، وتولَّى زمام هذا الأمر، و"حين يُذكر الإمام ابن تيمية بين منكري المجاز مطلقا وفى القرآن الكريم فإنه يمثل فى هذا المقام قطب الدائرة. لأن من أنكر المجاز قبله لم يتحمسوا للإنكار حماسته، ولم يثوروا ثورته ولم ينزحوا نزحه، ولم يقلبوا وجوه القول تقليبه. ولم يكن بين أيديهم من أسباب الإنكار ما كان بين يديه. والذين أنكروا المجاز من بعده، فى فلكه داروا، وعلى أوتاره عزفوا." (٢)

ومنشأ الخلاف – فيما يرجح – هو البحث في أسماء الله وصفاته فقد وردت في القرآن الكريم نصوص يوهم ظاهرها مشابهة في الحوادث، مثل إثبات اليد لله – سبحانه –والوجه و العين و المعية والقرب، والمجيء والاستواء.

قال الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله: "كان السبب في تلك الحملة الضارية التي شنها على القول بالمجاز والقائلين به من سلف الأمة هو دخول المجاز في مباحث العقيدة والتوحيد. وتعلقه بصفات الله . وقد تطرف قوم من علماء

(١) ينظر المجاز في اللغة والقرآن الكريم (٢/٣٨٤-٣٨٦)

(٢) المرجع السابق (٢/٢٣)

الكلام فأوسعوا دائرة التأويل في كتاب الله، وادعوا أن لكل لفظ في القرآن ظاهرا وباطنا، وحمَّلوا الألفاظ ما لم تحمل وتعسفوا في التأويل- كما قال الإمام عبد القاهر من قبل. وذكر مثلا لفوضاهم فى التأويل. وعبثهم في استنباط المعاني بما لا يؤيده نقل، ولا يسلم به عقل ولا يرضاه ذوق."[١]

الشَّيْخ المُطْعَنِيّ يناقش ابن تيمية:

رصد الدكتور عبد العظيم المُطْعَنِيّ الأدلة التي اعتمد عليها ابن تيمية في إنكاره للمجاز فقال: "ومن خلال قراءات متكررة ومتأنية للفصل الذي كتبه ابن تيمية بخصوص المجاز في كتابه (الإيمان) وجدناه قد اعتمد في إنكار المجاز في اللغة بعامة، وفى القرآن الكريم بخاصة على ما يأتي:

١- أنَّ سلف الأمة لم يقولوا به مثل الخليل ومالك والشافعي وغيرهم من اللغويين والأصوليين وسائر الأمة، فهو إذن حادث ؟!

٢- إنكاره أن يكون للغة وضع أول تفرَّع عنه المجاز باستعمال اللفظ في غير ما وضع له كما يقول مجوزو المجاز؟!

٣- إنكار التجريد والإطلاق في اللغة. حتَّى يقال إن الحقيقة ما دلت على معناها عند الإطلاق والخلو من القرائن، والمجاز ما دل على معناه بمعونة القيود والقرائن.

٤- مناقشة النصوص التي استدل بها مجوزو المجاز على وقوع المجاز في اللغة وفى القرآن. [٢]

(١) المجاز في اللغة والقرآن الكريم (٢/٢٤)

(٢) المرجع السابق(٢/٢٦)

وبعد مناقشته لآراء ابن تيمية في ما يزيد عن مئتي ورقة، انتهى أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ إلى أنَّ المجاز ورد "صريحا بلفظه ومعناه في حزٍّ كلام الإمام ابن تيمية، وأن لهذه النقول دلالة، ولها معنى، فما هي دلالتها ؟ وما هو معناها.[١]

ثم وضع عنوانا هو (مذهبان للإمام في المجاز) تحته كتب:

"مَن صحبنا في هذه الدراسة ولو بدءا من الحديث الخاص بالإمام ابن تيمية إلى هنا يتبين له في وضوح أنَّ للإمام ابن تيمية في المجاز مذهبين اثنين:

مذهب منع فيه المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم.

ومذهب أجاز فيه المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم. [٢]

ثم قال في نهاية المطاف:

"إنَّنا نعتقد – والله المطلع على ما في السرائر – أنَّ مذهب الإمام في إنكار المجاز كان رد فعل لظاهرة التأويل الفوضوي التي عبثت بحرمة النصوص، وتجرأت فوضعت الباطل موضع الحق. وألغزت وأبهمت فضلت وأضلت، فكان لا بد من وقفة أمامها ترد زيف المزيفين وانتحال المنتحلين.

وهذه عقيدتنا فيما صنعه الإمام. فهو معذور فيما فعل. والمرء إنما يثاب أو يلام حسب نيته، والمجتهد له أجران إن أصاب مع خلوص النية، وأجر إن أخطأ." [٣]

(١) المجاز في اللغة والقرآن الكريم (٢/٢٢٤)

(٢) المرجع السابق (٢/٢٢٤)

(٣) المرجع السابق (٢/٢٤٢)

الشَّيْخ المُطْعَنِيّ يناقش ابن القيم:

بعدما انتهى أ.د/ عبد العظيم المُطْعَنِيّ من مناقشة ابن تيمية، وقرر أنَّ ابن تيمية منع المجاز وأجازه قام أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ بمناقشة ابن القيم تلميذ ابن تيمية فيما احتج به في إنكار المجاز، قال رحمه الله:

وبعد الإمام ابن تيمية حمل لواء المنع تلميذه ابن القيم، فكان أقصي وأعنف من شيخه و كتابه الذي ضمنه الرد على مجوزي المجاز يشهد عنوانه على ما نقول، فقد دعاه: (الصواعق المرسلة، على الجهمية والمعطِّلة) كما سمى المجاز بـ (الطاغوت) وبذل طاقة ذهنية هائلة في إنكار المجاز من خلال اثنين وخمسين وجها سطرها في كتابه المشار إليه.[1] ثم قال: "ولكن إذا تجاوزنا كلا من ابن تيمية وتلميذه، واتجهنا صوب الجمهور من علماء الأمة وأعلامها وصانعي حضارتها. ورائدي نهضتها العلمية والفكرية والثقافية والتشريعية، فإننا نرى شيئًا آخر مختلفا جدا عما أبداه الإمام ابن تيمية ومن قبله ومن بعده من منكري المجاز، فالنحاة واللغويون، والأدباء والنقاد، والإعجازيون والبلاغيُّون، والمفسِّرون والمحدِّثون، والأصوليِّون والفقهاء كل هؤلاء لهم مسلك آخر ومنهج آخر أطبقوا عليه، وهو العمل بالمجاز، كل في دائرة اختصاصه." [2]

الرأي الفصل في قضية المجاز:

وبعد رحلة طويلة في صحبة المجاز والمثبتين والنافين انتهى أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله إلى نتيجة أثبتها في نهاية مطافه، وهي:

(١) المجاز في اللغة والقرآن الكريم (٩/١)

(٢) المرجع السابق (١٠/١)

"إنَّ إنكار المجاز في اللغة بوجه عام، وفي القرآن بوجه خاص، إنَّما هو مجرد دعوى بنيت على شبهات واهية كتب لها الذيوع والانتشار والشهرة، ولكن لم يكتب لها النجاح."[١]

(١) المرجع السابق(٢/٥٢١)

الخاتمـــة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد فقد حاولت هذه الدراسة التعرض لبعض معالم التجديد البلاغي عند أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ رحمه الله، وقد انتهت الدراسة إلى جملة من النتائج، منها:

أنَّ الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ من مدرسة ترى أنَّ تجديد علم البلاغة العربية لا يكون إلا بالاعتماد على القديم، وتنقيته مما شابه من غير جنسه، وأنَّ التجديد يجب أن يكون نابعًا من ثقافتنا العربية الخالصة، وهذا كلَّفه خوض معارك ثقافية وفكرية بغية الذود عمَّا يعتقد.

- رفض الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ وجود الترادف في ألفاظ القرآن الكريم، وأثبت البحث أنَّه لا تعارض بين نظرية النظم للشيخ عبد القاهر الجرجاني وما ذهب إليه الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ.
- أبان البحث عن جذور فكرة اصطفاء الذكر الحكيم للكلمة القرآنية عند الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ، وأنَّه كان متأثرا بما قاله الجاحظ في البيان والتبيين.
- رصد البحث أنَّ الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ في كتابه قد تنازل عن رأي اعتمده في رسالته للعالمية، وذكر البحث سبب هذا الأمر.
- ذكر البحث خلاف العلماء في إعجاز الرسم العثماني فمنهم من أثبته، ومنهم من أنكره، وأنَّ الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ سار في قافلة من أثبت إعجاز الرسم العثماني، وسمَّاه: الإعجاز الخَطِّي، وذكر البحثُ نماذج من الإعجاز الخطي، واختار نماذج للحذف، وللزيادة.
- بيَّن البحثُ سبب اعتراض الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ على المنهج الذي سار عليه البلاغيون في تقعيدهم لقواعد البلاغة من استنباطها من كلام البشر ثم محاولة تطبيقها على كلام ربِّ البشر.

- بيَّن البحث علَّة رفض أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ ما ذهب إليه الخطيب القزويني في تخريجه لبعض آيات الذكر الحكيم على المبالغة البديعية (الغلو)، وهذا مرده إلى أنَّ هذا الصبغ البديعي لا يناسب جلال القرآن الكريم .
- فرَّق البحث بين الادعاء في علم البديع، والادعاء في علمي المعاني والبيان، وبيَّن علّة رفض وجود الادعاء في علم البديع في القرآن الكريم بينما كان الادعاء في علمي المعاني والبيان مقبولا.
- في كتابه: " المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع عرض وتحليل ونقد" استطاع الشَّيْخ عبد العظيم المُطْعَنِيّ أن يرصد أقوال المثبتين والمنكرين للمجاز، ويتفق البحث والنتيجة التي انتهي إليها أ.د عبد العظيم المُطْعَنِيّ وهي: "أنَّ إنكار المجاز في اللغة بوجه عام، وفي القرآن بوجهٍ خاصٍّ، إنَّما هو مجرد دعوى بنيت على شبهات واهية كتب لها الذيوع و الانتشار و الشهرة ولكن لم يكتب لها النجاح." (١)

ويبقى نتاج الشَّيْخ أ.د عبد العظيم المُطْعَنِيّ البلاغي والنقدي في حاجة إلى دراسات أخرى تتوافر عليه لتقف على معالم التجديد البلاغي والنقدي عنده كاملا.

أسأل الله أن يصبَّ عليه شآبيب رحمته، وأن يغفر له، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

(١) المجاز في اللغة والقرآن الكريم (٢/٥٢١)

ثبت المصادر والمراجع

- أبجد العلوم – أبو الطيب القِنَّوجي – دار ابن حزم– ط: أولى ١٤٢٣– ٢٠٠٢م.
- الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز – أحمد بن المبارك – دار الكتب العلمية.
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين– مرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) مؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – قراءة وتعليق الأستاذ محمود شاكر– مطبعة المدني– جدة. ط أولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م
- بيان إعجاز القرآن – حمد بن سليمان الخطابي – تحقيق: حمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام – دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
- البيان والتبيين – الجاحظ – دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٤٢٣ هـ..
- تاريخ ابن خلدون– المحقق: خليل شحادة– دار الفكر– بيروت– الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- تأويل مشكل القرآن . ابن قتيبة الدينوري – تحقيق: إبراهيم شمس الدين– دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان.
- التفسير البلاغي للاستفهام في الذكر الحكيم – أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ– مكتبة وهبة.
- جريدة الرياض – المملكة العربية السعودية.
- جريدة عكاظ – المملكة العربية السعودية.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية– أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ– مكتبة وهبة– الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

- دراسات جديدة في إعجاز القرآن . مناهج تطبيقية في توظيف اللغة – أ.د: عبدالعظيم المُطْعَنِيّ– مكتبة وهبة– الطبعة الأولى.
- دراسات في علوم القرآن – محمد بكر إسماعيل– دار المنار– الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ–١٩٩٩م
- دلائل الإعجاز – الشَّيْخ عبد القاهر الجرجاني . قراءة وتعليق الأستاذ محمود شاكر– مطبعة المدني.
- دليل الحيران على مورد الظمآن – المارغني التونسي المالكي – دار الحديث– القاهرة.
- ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي – تحقيق: راجي الأسمر . دار الكتاب العربي . مصر.
- ديوان البحتري– تحقيق: حسن كامل الصيرفي . دار المعارف . مصر.
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية– دكتور: غانم قدوري الحمد– دار عمار للنشر والتوزيع– عمان . الأردن عام ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.
- رسم المصحف ونقطه– دكتور: عبد الحي حسين الفرماوي– دار نور المكتبات– جدة . السعودية عام ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني (تفسير الألوسي) دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.
- سنن أبي داود– تحقيق الشَّيْخ محيي الدين عبد الحميد– المكتبة العصرية، بيروت.
- شعر ربيعة الرقي – صنعة زكي ذاكر العاني . منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد القومي . دمشق . ١٩٨٠م.

- شعر زهير بن أبي سلمى صنعة الأعلم الشنتمري . تحقيق: فخر الدين قباوة . دار الآفاق الجديدة . بيروت.ط ثالثة : ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- الصمة بن عبد الله القشيري حياته وشعره – جمع وتحقيق د: خالد بن عبد الرءوف الجبر. دار المناهج . الأردن.
- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل – ابن البناء المراكشي.حققته وقدمته د: هند شلبي . دار الغرب الإسلامي . بيروت لبنان . ط أولى –١٩٩٠م.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود– صفي الدين المباركفوري – دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) . شرف الدين الطيبي . جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم– الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م
- الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – الزمخشري – دار الكتاب العربي . بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون– حاجي خليفة– دار إحياء التراث العربي.
- المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع عرض وتحليل ونقد – أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ – مكتبة وهبة . الطبعة الثانية – ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- مجلة الرسالة –جمهورية مصر العربية.
- مجلة منبر الإسلام . وزارة الأوقاف . جمهورية مصر العربية.
- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

- المحرَّر في علوم القرآن- د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار- مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي) تحقيق: محيي الدين ديب – دار الكلم الطيب، بيروت- ط لأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- معاني القرآن للفراء – تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل شلبي – دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الطبعة: الأولى.
- من قضايا البلاغة والنقد – أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ- توزيع السلام العالمية . ط أولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن . الشَّيْخ عبد العظيم الزرقاني – عيسى البابي الحلبي وشركاه : الطبعة الثالثة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة .	٢٣٣
تمهيد .	٢٣٧ : ٢٤٦
القسم الأول: ترجمة موجزة	٢٣٧
– مولده ونشأته.....	٢٣٧
– دراسته في جامعة الأزهر	٢٣٨
– التدرج الأكاديمي	٢٣٩
– وظائفه داخل أسوار الجامعة	٢٤٠
– المؤلفات العلمية	٢٤٠
– وفاته	٢٤١
القسم الثاني: ماهية التجديد؟	٢٤٣
مسالك التجديد البلاغي عند الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ .	٢٤٥
الفصل الأول: **من جهود الشَّيْخ أ.د:عبد العظيم المُطْعَنِيّ في الإعجاز القرآني**	٢٤٧ : ٢٧٨
المبحث الأول: **المفردة القرآنية مدخل إلى بيان إعجاز القرآن الكريم**	٢٤٨ : ٢٦٢
المحور الأول.....	٢٤٨
المحور الثاني	٢٤٩
جذور هذه الدراسة عند العلماء	٢٤٩
اعتراض ودفعه.....	٢٥٢
جذور الفكرة عند الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ	٢٥٥

الموضوع	الصفحة
الشَّيْخ خالف في كتابه ما كان في رسالته للعالمية.....	٢٥٦
نموذج من الرسالة والكتاب	٢٥٧
نموذج ختم	٢٦٠
ما جاء في الكتاب ولم يأتِ في الرسالة	٢٦١
المبحث الثاني: إعجاز الرسم العثماني (الإعْجَازُ الخَطِّيّ)	٢٦٣ : ٢٧٨
مدخل	٢٦٣
هل في الرسم العثماني إعجازٌ؟	٢٦٥
دوافع الشَّيْخ لدراسة هذا اللون من الإعجاز	٢٧٢
من نماذج للإعجاز الخَطِّي	٢٧٣
النموذج الأول ـ حذف الياء من الرسم العثماني دون الرسم العام	٢٧٣
نموذج آخر	٢٧٥
نموذج الزيادة في الإعجاز الخَطِّي	٢٧٧
الفصل الثاني: من جهود الشَّيْخ أ.د: عبد العظيم المُطْعَنِيّ في تجديد متن البلاغة	٢٧٩ : ٢٩٣
المبحث الأول: ما خالف فيه البلاغيين (المبالغة البديعية.. أنموذجا)	٢٨٠ : ٢٨٥
ما المأخذ الذي أخذه الشَّيْخ أ.د عبد العظيم المُطْعَنِيّ على مَن قعَّد قواعد البلاغة	٢٨٠
لماذا رفض الشَّيْخ المُطْعَنِيّ كلام البلاغيين في هذه المسألة؟.	٢٨١
الادِّعاءُ الذي في الاستعارة غير الادعاء في المبالغة البديعية..	٢٨٢
الشَّيْخ المُطْعَنِيّ يرفض كلام الخطيب القزويني	٢٨٤

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: قضية المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين الإجازة والمنع	٢٨٦ : ٢٩٣
مدخل	٢٨٦
الجديد في الطبعة الثانية	٢٨٨
منشأ الخلاف في قضية المجاز	٢٨٩
الشَّيْخ المُطْعَنِيّ يناقش ابن تيمية	٢٩٠
الشَّيْخ المُطْعَنِيّ يناقش ابن القيم	٢٨٢
الرأي الفصل في قضية المجاز	٢٩٢
الخاتمة .	٢٩٤
ثبت المصادر والمراجع .	٢٩٦
فهرس الموضوعات .	٣٠٠